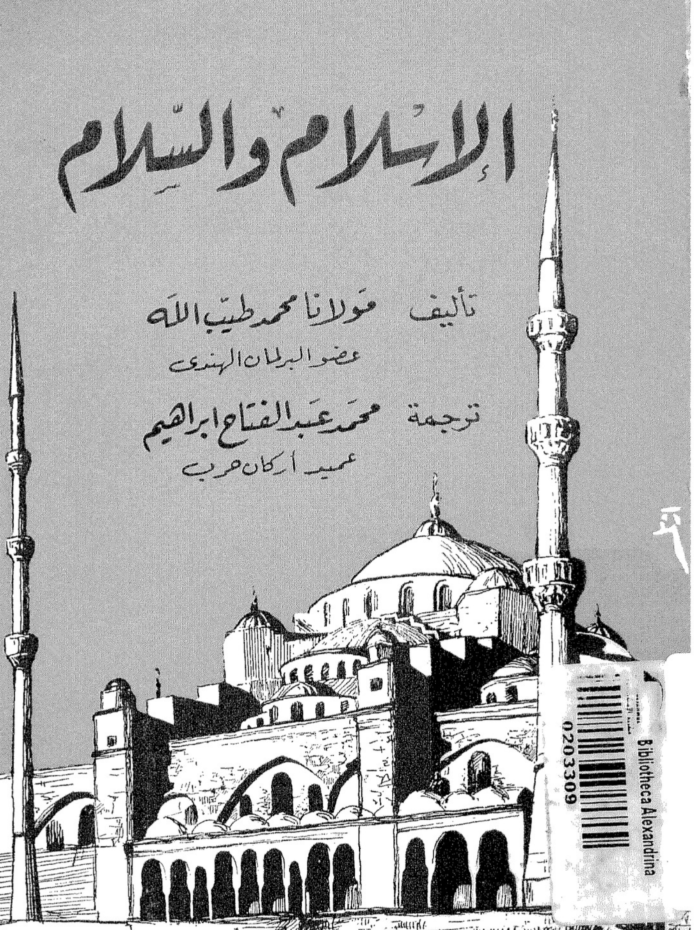

الإسلام والسّلام
تأليف مولانا محمد طيّب الله
عضو البرلمان الهندى
ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم
عميد أركان حرب

الإسلام ... و ... السلام

تأليف

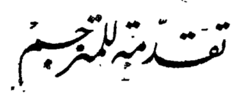
مولانا محمد طيب الق...
عضو البرلمان الهندى

ترجمة

... عبد الفتاح إبراهيم

... أركان الحرب

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية



كتاب ألفه صاحبه مولانا محمد طيب الله عضو مجلس « راجيا صبحا » المجلس الأعلى في التنظيم النيابى بالهند ، وأصدرت الطبعة الأولى منه بالانجليزية في الايام الاخيرة من سنة ١٩٥٩ شركة النشر « كتابستان » بمدينة الله آباد من أعمال ولاية «أوتار برادش» بعد خمس عشرة سنة من انتهاء صاحبه من كتابته ومع ان الأيام لم تغير من حيوية كتابه فانه قد أضاف بعض فصول جديدة لمسائل خاصة تجىء على « هامش » الموضوع الأصلى وان كانت لها صلتها بسياسة الهند وباتجاهات سكانها من مسلمين وهندوس .

وقد أهدى المؤلف كتابه لذكرى « أبى الأمة الهندية : «بابو» ، المهاتما غاندى القديس الذى دعا الى مبدأ « عدم العنف » أى لأصل المادة التى كتب المؤلف كتابه عنها ، ثم استشهد غاندى ، فكان استشهاده كما كانت حياته انتصارا للمبدأ أو للعقيدة التى دعا اليها ومات فى سبيلها .

وليس بعجيب أن يكتب عالم مسلم هندى كتابا عن الدين الاسلامى ، فالكثير من الكتب فى ترجمة معانى القرآن الكريم و فى تفسيره وفى التعريف بالدين الاسلامى وتقاليده وتعاليمه قد كتبها مؤلفون هنود بالانجليزية أو بلغاتهم الأصلية ، وقد مكنهم تعمقهم فى دراسة الاسلام ومكنتهم قدرتهم على الكتابة باللغة الانجليزية من تقديم مؤلفات لها قيمتها وشأنها .

ولكن الكتاب الذى نحن بصدده اليوم له شأن آخر ، فقد كتبه المؤلف من راوية تتصل و نيقا بمبدأ سياسى اجتماعى كان طابعا مميزا للحركة القومية فى الهند ، ثم انه ألف كتابه وهو معتقل فى سجنه بأمر السلطة الاجنبية التى تحتل بلاده ، كتبه بالانجليزية فى وقت كان أحوج مايكون فيه لا الى ما يشغل ساعات يومه فى محبسه فحسب ، بل الى ما يحفظ له معنوياته وثقته بنفسه وايمانه بوطنه واطمئنانه الى عقيدته السياسية التى احتمل فى سبيلها ما احتمل دون أن يوهن السجن من عزمه ، ودون أن يضعف الاعتقال من ايمانه وثقته وقوته .. وقد كان .

وقد ألف صاحبنا كتابه على ما يقول فى الفصل السابع منه — فى أيام المجاعة المخيفة التى وقعت فى البنغال سنة ١٩٤٣ / ١٩٤٤ وفى ذروة مشكلة الخلاف بين المسلمين والهندوس ، ولهذا كان من الطبيعى أن يشير الى هذا الخلاف فى الفصل السادس من كتابه ووسمه بعنوان : « الاسلام وهندستان » ثم ضم الى كتابه أكثر من فصل بعد هذا فى تواريخ متأخرة وصلت به الى الثانى من أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، وهى فصول تتصل بغاندى وتضحيته ، ولكنها لاتغير من أصل الكتاب الذى وقف عليه الفصول الخمسة الاولى من كتابه والتى نقدم هنا الترجمة العربية لها .

وأود أن أنظر الى الكتاب على أن مولانا « محمد طيب الله » قد أراد أن يكتب كتابا عن تقليد من تقاليد الاسلام ، تقليد « التسمح » و « عدم العنف » ، وقد أراد أن يكتب كتابا عن الاسلام فريضة عليه مادام يستطيع الى هذا سبيلا ، فكان هذا الكتاب الذى كتبه بالانجليزية ، وان كان قد كتب كتابا قبله بلغته الاصلية لغة أهل آسام عن القرآن الكريم .

والحديث هنا فى الواقع يدور حول تعاليم الاسلام بالنسبة لمبدأ

« عدم العنف » ـ «الآهيمسا» على أساس ما جاء فى القرآن الكريم وفى احاديث النبى عليه الصلاة والسلام ٠

وقد ناقش المؤلف هـذه التعـاليم من ناحية عامة بالرغم من أنه كان ولاشك متأثرا بدعوة المهاتما غاندى الى عدم العنف فى الكفاح ضد الاستعمار البريطانى ، ولكن لاشك فى أن الموضوع ـ مع أنه ليس بجديد ـ قد عولج فى أسلوب جديد لم يفقد طابعه حتى عندما ترجمته الى اللغة العربية ٠

ولقد يكون من الضرورى أن أقول هنا : ان هـذه الترجمـة ليست هى كل الكتاب فى طبعته باللغـة الانجليزية ، فلقد تركت الجزء الخاص بالمسلمين والهندوس ، وما عرض له المؤلف فى بحثه عن الجامعة الاسلاميةبالهند ، وكذلك فصلهالأخير الخاص بانتصار دعوة غاندى القديس الى عدم العنف ، فليس من محل لهـذا اليوم بعد استقلال الهند وتقسم شبه القـارة الهنـدية ، بعد أن غربت شمس الاستعمار من أكثر بلاد آسية ٠

وهكذا يكون من الواضح أن الترجمة العربيـة انما قصرت على جل فصول كتابه فيما جاء عن الاسلام وتعاليمه ، وايضـاح مافى القرآن الكريم ومافى أحاديث النبى عليهالصلاة والسلام وتوجيهات خلفائه وأوامرهم رضى الله عنهم لتنفيذ هذه التعاليم ، وهذا هو الجزء الذى يعنينا من الكتاب ٠

أما من شاء التعرف على رأى المؤلف واتجاهاته فى الفصـول الثلاثة التى تركتها والتى تستغرق اثنتى عشرة صفحـة من كتابه فانه يستطيع الرجوع اليها بالانجليزية ، وان كنت أود أن أقول

للقارىء انها لاتقدم جديدا فى الموضــوع الأصلى الذى اســتهدفه مولانا محمد طيب الله عندما بدأ كتابه ، بل حتى عندما انتهى منه، لأن هذه الفصول كتبت بعد سنوات ثلاث من كتابة الكتاب الاصلى ولها أهميتها بالنسبة للهند الحديثــة لا بالنسبــة لجمهرة القراء بالعربيـــة ، بل حتى لجمهرة القراء بالانجليزية ممن تستهويهم الرغبة الى معرفة شىء عن تعــاليم الاســلام فى موضــوع هام هو مبدأ « التسمح وعدم العنف » .

• •

على أنى أجد لزاما على هنا أن أوضح للقــارىء أن تفسـير آيات القرآن الكريم التى عرض لهـــا المؤلف لم يكن فى كتابه ، ولكننى فضلت اضافة التفسير من أقرب المراجع الحديثة زيادة فى الايضاح من ناحية وتصحيحا للاتجاه من ناحية أخرى عندما يقتصر المؤلف على اقتطاع جزء من الآية محاولا الاستشهاد به على مايقول ، كما وضحت الحاجة الىبعض اضافات لزيادةالايضاح فىبعض آراءالمؤلف ولهذا فقد اضطررت أحيانا الى التحول عن الأصـــل دون الانطلاق بعيدا عن الهدف الذى رمى اليه المؤلف ، ومن هنا آثرت أن توضع الاضافات داخل أقواس للفصــــل بينها وبين أصل مادة الكتاب بالانجليزية .

ان كتاب مولانا محمــد طيب الله يعتبر جهــدا طيبا بين الجهود التى بذلت والتى لا تزال تبذل لايضاح الدين الإســـلامى وتعاليمه لغير المسلمين ولتصحيح بعض ما حاول نفر من كتاب الفرنجة أن يلصقوه بالاسلام وبخاصة « طابع العنف » والزعم « بنشر الاسلام بحد السيف » وما الى هذا مما يثبت تاريخ الصلات بين المسلمين

وبين الناس بعامة وبينهم وبين المسيحيين بخاصة ، أنه لم يكن اكثر من افتراء على الدين وتعاليمه ٠

أحسن الله جزاء المؤلف انه نعم المولى وخير النصير ٠

القاهرة فى الرابع من أكتوبر سنة ١٩٦٠ ٠

محمد عبد الفتاح ابراهيم
عميد اركان الحرب

« تقـوم عقيـــدتى الدينيـة على الحق »
« وعـــــــــدم العنف ، فالحق الهى »
« وعـــد العنف وســــيلة ادراكى لله »

● ■ ●

« اننى أعتقد بكل الاصول الصحيحة لكل »
« الأديان العظيمة فى العــــالم ، وأومن »
« بأنها كلها من عند الله ، وأعتقد أنهـــا »
« كانت لازمة ضرورية للنــــاس الذين »
« بعثت إليهم هــــــــــذه الأديان »

● ■ ●

« قـــــد تختلف كل الاديان »
« فى نقـــــاط ، ولكنها كلها »
« تتفـــــق فى أن لا شىء »
« فى العـــــــــالم يبقى »
« دائمـــــــــا غير الحق »

غاندى

مقدمة المؤلف

ألفت هذا الكتاب « الاسـلام ومبدأ عـدم العنف » قرابة سنة ١٩٤٤ عندما كنت حبيس المعتقل بأمر سلطات الأمن أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولهذا فان الكثير مما كتب يوم ذاك كان صـدى مشاعر أعتقد أننى قد أحسنت التعبير عنها .

والواقع أننى أشعر اليـوم بشعور غريب عنـدما أقرأ ما كتبت فى ذلك الجو غير العادى، جو السجن ، وأشعر ــ فى ضوء كلمـات للبانديت جواهر لال نهرو ــ ان كل ما فى هـذه الصفحات كتبته بقلمى ، ولكننى أحس بأنه ليس كله فى جملته لى ، ومع هذا فان هذه الصفحات تترك وراءها ذكريات ، واذن فلنوار الماضى بالتراب ، ولنتقبل الحاضر على ما هو عليه ، ولنسر قدما نحو المستقبل مليئين بالثقة والحب والروح النبيلة لمبـدأ « عـدم العنف » على ما جاءت عقيدته فى القرآن الكريم .

واننى لأشكر للناشرين « دار كتابستان » لاصدارهم هـذا

مولانا محمد طيب الله

* دكتوراه فى الرياضيـات البحتة .
* كان وزير النشر فى الحكومة التنفيذية لحكومة آسام بالهند سـنة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٤ ، حاليا أحد الأعضاء السبعة الذين يمثلـون آسـام فى « راجيا صبحا »

* ولد سنة ١٨٩٤ ؟ .
* تعلم فى جامعـة بريزدنسى بكلكتا
* انضم للحركة الوطنية ونال عضـوية المجلس الوطنى الهندى سنة ١٩٢١
* كان سـكرتيرا عاما لمجلس المؤتمر بآسـام (١٩٢٦ ١٩٣١)

الكتاب الذى بقى طويلا مجرد صفحات مكتوبة بالقلم ، كما يجب أن أشكر وأن أذكر بالخير « جماعة احياء ذكرى غاندى » التى قدمت منحة خاصة لاصدار هذه الطبعة الأولى للكتاب :.

ولكن بقيت كلمات قليلة :

فى المدة من أبريل حتى نهاية سنة ١٩٤٧ وفى خضم المتاعب التى عرفتها الهند يوم ذاك كان المهاتما غاندى يعمل فى « نواكهالى » و «بتنا» ، وكانت أصول هذا الكتاب مختلطة بركام أوراقه تبتعد عنها أعماله الكثيرة وقد كتب الى اذ ذاك يقول :

« ماذا على أن أفعل ؟ ان اصول الكتاب لم تصل الى يدى وعندما تصلنى سأكتب لتوى ما تطلبه ، على أننى سأكتب لبياربلال بدلهى فى الثلاثين من الشهر ليوافينى بكتابك » ... «بابو» .

وفى السادس من ديسمبر سنة ١٩٤٧ وجد « بهاى بيار بلال » أصول الكتاب فكتب لى من « نواكهالى »

* اختير رئيسا للمؤتمر باسام سنة ١٩٤٠ ، وبقى فى الرياسة حتى سنة ١٩٤٨
* سجن من أجل حركة عدم التعاون سنة ١٩٤٢ ، اعتقل لدواعى الأمن سنة ١٩٤٥
* أعيد اختياره رئيسا للمؤتمر باسام من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٠
* مؤلفاته :

(٢) باللغة الانجليزية :

UMMUL KORAN
LAKE VIEW

(٢) بلغة الانجليزية :

ISLAM&NON VIOLENCE

المرجع : ص ٧٧٩ (الكتاب السنوى للهند والباكستان) اصدار جريدة تايمز أوف انديا سنة ١٩٥٦

١٩١

« سآخذ معى هذه الصفحات مع مذكراتى عنها الى « بابو »، وسأحرص شخصيا على أن أحقق ما تطلبه »

● ●

ومع الأسف اغتيل بابو يوم ٣٠ من يناير سنة ١٩٤٨ ولم يكتب مقدمة الكتاب كما كنت آمل » .

محمد طيب الله

تقدمة :
بقلم الدكتور براكاسا

انالنى الزميل مولانا محمد طيب الله شرف قراءة تجارب هـذا الكتاب الطريف النافع « الاسلام وعدم العنف » .

لقد ألف الزميل كتابه سنة ١٩٤٤ فى سجنـه بجورهات ، وكان سجينا يومأن بدأت سنة ١٩٤٢ الحـركة التحررية التى اتخذت شعارا لها :

« اجلوا عن الهنـد ... افعلوا أو تموتوا »

وفى هذه الدراسة للاسلام ـ هذه العقيدة التى يجىء السلم جزءا من اسمها ـ يحدثنا المؤلف النابه عن مبادىء الأخـوة التى تجمع بين كل أتباع هذا الدين العظيم ، ويربط بينها فى كل تفاصيلهـا وبين الـ « آهيمسا » عقيدة عدم العنف التى بشر بها المهاتما غاندى ، وقد قدم المؤلف بعض فقـرات من تعـاليم

دكتور سرى . براكاسا :

- **يحمل اجازتى الماجستير والدكتوراه من جامعتى الله آباد وكانتاب**
- **حاكم بومباى منـذ العاشر من ديسمبر سنة ١٩٥٦**
- **ولد فى ٣ من أغسطس سنة ١٨٩٠ ، واتم دراسـته بالحصول على البكالوريوس فى القـانون من جامعة الله آباد سنة ١٩١٠**
- **عمل فى المحاماة من سـنة ١٩١٤**
- **اشتغل بالصحافة والسياسة فعمل فى تحرير جريدتى « ليدر » و « انديبيندانت » (١٩١٤ ـ ١٩١٨)**
- **انضم لحزب المؤتمر لـكل الهند منذ سنة ١٩٣٨**

« كريشنا » ومن تعاليم محمد (عليه الصلاة والسلام) وأثبت أن القاعدة الأساسية لهذه وتلك واحدة متماثلة • ولاشك ان هذه الفقرات وتلك مادة طيبة للذين يدرسون الدين المقارن •

ان الكتاب يبرز فى كل صفحة منه روح الوطنية ، فحب الوطن من الايمان ، ومن صلب العقيدة الدينية •

وانني لأشعر بالشرف الكبير الذى أنالني اياه مولانا محمد طيب الله عندما طلب منى أن أقدم كتابه ، وانه ليسعدنى أن أفعل هذا ، كما أرجو أن ينتزع هذا الكتاب من عقول المتزمتين الكثير من الشكوك ـ التى قد تؤمن بها ـ تجاه هذا الدين الذى يملأ قلوب مئات الملايين من بنى البشر فى كل العالم ويوجهها •

* سجن لنشاطه السياسى سنة ١٩٣٠ ، ١٩٣٢ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢
* انتخب عضوا باللجنة الدستورية للهند
* كان مندوبا ساميا للهند فى الباكستان من أغسطس سنة ١٩٤٧ الى فبراير سنه ١٩٤٩
* عين حاكما لآسام من فبراير سنة ١٩٤٩ الى مارس سنة ١٩٥٠
* كان وزيرا للتجارة لحكومة الهند المركزية من مايو سنة ١٩٥٠ الى فبراير سنة ١٩٥١
* عين وزيرا للمواد الطبيعية والأبحاث العلمية من فبراير سنة ١٩٥١ الى مارس سنة ١٩٥٤

مؤلفاته

(٢) باللغة الهندية :

GRISHASTA GITA
SPLLT VICHAR
NUGHAIH SHASTAR
HAMARI ANTARIN

ان الكثير مما فى هذا الكتاب يعيد الىالنفوس الطمأنينة لأنه يبعث فيها النور والأمل .

براكاسا

(٢) باللغة الانجليزية
ANNF BASANIT, AS WOMAN AND AS LEADER

المرجع :
الدليل والكتاب السنوى ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠

كلمات

للدكتور ه موكارجى

قضى مولانا طيب الله وزير آسام المدة من أغسطس سنة ١٩٤٢ الى منتصف سنة ١٩٤٥ سجينا فى المعتقل ، وقد كتب فى هذه السنين كتابا صغيرا هاما ، كتاب « الاسلام وعدم العنف » .

ولا يدل هذا الكتاب على عمق دراسة المؤلف للقرآن الكريم فحسب ، بل يدل على واسع دراسته للتعاليم المسيحية والهندوكية الى مدى بعيد . وانه لمن سوء الجد أن غير المسلمين يعتقدون — دون دراية صحيحة بتعاليم الاسلام — أن هذا الدين يقوم على العنف ، وأن القرآن يفرض على المسلمين واجب نشر الاسلام بحد السيف ، وأنه ليس غير حصيلة لمشاعر التعصب الأعمى البغيض .

لقد غفل هؤلاء عن حقيقة أن أى دين فى العالم لا يمكن أن يحكم له أو عليه الا بدراسة التعاليم الصحيحة الأصيلة لمن دعا اليه فى البداية ، كما غفلوا عن حقيقة أن كل ما يكتبه النقاد المغرضون عن جهل لا

دكتور ه . موكارجى

* حاكم غربى البنغال من الأول من نوفمبر سنة ١٩٥١ حتى وفاته سنة ١٩٥٧ فى الثمانين من عمره
* ولد سنة ١٨٧٧
* تولى تدريس اللغة الانجليزية بسيتى كوليدج الى سنة ١٩١٤
* قام بالقاء محاضرات عن اللغة الانجليزية بجامعة كلكتا سنة (١٩١٤ — ١٩١٦)
* تولى عملا اداريا فى التفتيش على الجامعات من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٧
* كان رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة كلكتا من سنة (١٩٣٧ — ١٩٣٩)

يصلح لتقرير الآراء عن الدين.

لهذا يستحق «مولاناصاحب» تهنئة كل الباحثين ذوى النيات الطيبة لما قدمه لهم من مختارات نقلها من القرآن الكريم ، ومن أحاديث النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وما حققه من أن الاسلام دين السلام والمسالمة ، وأن النبى وخلفاءه والمؤمنين قد وضعوا نصب أعينهم دائما — فى أعمالهم الاجتماعية والسياسية — ضرورة اتباع مبدأ « عدم العنف » ، كما أثبت أن تعاليم النبى محمد عليه الصلاة والسلام تنص على أن كل حرب يجب أن تكون حربا دفاعية .

* نظم اتحاد المدرسين فى البنغال من سنة (١٩٣٧ — ١٩٣٩) .
* أقام اتحادات المدرسين لكل الهند من سنة (١٩٣٨ — ١٩٤٠)
* تولى رياسة تحرير جريدة « كلكتا ريفيو » من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥١

مؤلفاته وكلها باللغة الانجليزية

INDIANS IN BRITISH INDUSTRIES
CONGRESS AND MASSES
S OME NONPOLITICAL ACHEVE MENTS OF THE C ONGRESS
WHY PROHIBTION
OUR HEMP DRUG PROBLEM

المرجع : ص ١٠٦١ الدليل والكتاب السنوى ١٩٥٥ — ١٩٥٦

لقد أدى المؤلف خدمة كبيرة للمسلمين ، كما أدى خدمة أكبر لغير المسلمين : فقد ذكر الأولين بأسس دينهم وأصول تعاليم هذا الدين وأوضح للآخرين هذه الأسس والتعاليم فى بساطة وايجاز ، وبذلك أزال الكثير من الاعتقادات الخاطئة التى يمكن أن تكون مدعاة لسوء الفهم .

هـ. موكارجى

الاسلام حضارة كاملة

* الاسلام وآراء الفلاسفة والمؤرخين
* من القــرآن
* القرآن والكتب السماوية التى سبقته

الاسلام وآراء أعلام الفلاسفة والمؤرخين :

كتب العـــــلامة « جيب » GIBB الرجل الذى أرخ للاسلام والمسلمين : « الاسلام أكثر من أن يكون عقيدة دينيـــة فهو حضارة كاملة ، والاسلام يشتمل على ثقافات مركبة ممتزجة معا تعتبر العقيدة الدينية محورها أو العمود الفقرى لها ، وقد ارتبطت هذه الثقافات فى أغلب الحالات بالعقيدة الدينية فى صـــورة ما وسط المظاهر البارزة للبناء الأجتماعى والسياسى والاقتصـــادى للدين ، كما ارتبطت بتشريعات الدين القانونية ونظراته واتجاهاته الثقافية ، وبعاداته الفكرية والعملية » .

ثم يتابع جيب مناقشته للموضوع فيقول :

« والى أبعد من هذا فان الاسلام يجمع بين عدد كبير من الناس يتباينون جنسا ولغة وطباعا ، ومع هذا فهو يجمعهم معـا فى رابطة واحدة لا بسبب وجودهم معا فى نشأة مشتركة ، بل بسبب اشتراكهم معا فى ثقافة مشتركة ، وفى طاعتهم لقانون مشترك ، ولاتباعهم تقاليد متماثلة »

« ان عقيدة الاسلام التى خرجت من بلاد العرب فى صـــورة كاملة ثابتة ــ لايمكن أن تدخلهـا يد التعديل ــ لم يتفهمها الكثير من غير المسلمين تفهما صحيحـــا كاملا ، ولهذا فقد أخطئـــوا تقديرها » .

ولقد قرأ GOETHE جيته(١) القرآن الكريم فلما انتهى من مطالعته قال : « لو كان هذا هو الاسلام فان كل مفكر فى العالم مسلم » .

وكتب جيته لصديقه وزميله ايكرمان EKERMAN .

« ان هذه التعاليم لا تقصر عن أن تؤدى رســـالتها والغرض

---

(١) جوهان وولفجنج فون جيتــه (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢) شاعر ألمانى ومؤلف مسرحى كبير فهو الذى كتب رواية « فاوست » .

منها ، ومع كل ما توافر لنا من اساليب ونظم فاننا لا نستطيع اللحاق بها » .

●●●●● ●

وقال جيبون GIBBON (٢) فى حديثه عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام :

« ليس انتشار هذا االدين وذيوعه ، بل بقاؤه أو استمراره هو الذى يستحق دهشتنا ، ان كلمات : « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » هى فى بساطة كل ما يجب قوله لاعلان اتباع الاسلام ، ان التصوير الفكرى للخالق سبحانه وتعالى لا يمكن أن يتمثله المؤمن الا فى الكيان المرئى لمن ولما صنع الله بقدرته .

وتعاليم القرآن الأساسية وفلسفته هى :

* التوحيد : أى الايمان باله واحد
* و ... الصراط المستقيم ... طريق الحق والعمل الصالح
* و .. الآخرة .. أى القيامة ، أى عقيدة اعادة بعث الموتى من القبور .

● ■ ●

وكتب برنارد شو عن الاسلام يقول :

« هو الدين الوحيد فى العالم الذى يمكن أن يؤمن به كل نابه مثقف ، انه الدين الذى يمكن مزاولة عبادته دون الحاجة الى كنيسة » .

(أى يقصد أن العبادة والصلاة يمكن أن تتم فى أى مكان طاهر ، فلا كنيسة ولا رهبانية ولا وساطة :

وفى سورة « الحديد » آية ٢٧ مدينة :

« ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

---

(٢) ادورد جيبون مؤرخ انجليزى (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) .

وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ »

(أى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوا عيسى رأفة ورحمة ورهبانية هى اتخاذ الصوامع ورفض النساء ، وهى رهبانية ابتدعوها من قبل أنفسهم ما أمرناهم بها ، ولكن فعلوها ابتغاء مرضاة الله فما رعوها حق رعايتها اذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملكهم)

وفى الحديث : « لا رهبانية فى الاسلام » ، ولا وساطة ، فالشفاعة لله وحده له ملك السموات والأرض واليه ترجعون .

وفى سورة « الزمر » آية ٤٣ مكية :

« أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ »

(أى اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله شفعاء عند الله بزعمهم قل لهم : أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا غيرها ولايعقلون أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك)

يقول هاتزكوهن (٣) فى كتابة « تاريخ القومية فى الشرق »
« وعقيدة محمد صلى الله عليه وسلم هى وحدها التى تستطيع أن تمنع المذهب العقلى من المذهب الذى يقول بألا نتقبل الا ما يتفق مع منطق العقل الحر ، ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يستطيع

البقاء مع هذه الشكوك التى تنتشر اليوم ، ان المبادىء الأساسية للاسلام لطليقة تماما من الخرافات والأوهام ، ويمكن مذهب التوحيد من الالتجاء مباشرة الى المنطق ، وأى مجتمع تطرق اليه الاسلام حمل اليه الطهر والفضيلة وكل المعنويات التى تمكنه من متابعة التقدم والتطور » ٠

« ان هذا المجتمع ليصلح كنموذج لأوروبا الحديثة ، أوروبا التى تريد أن تتخلص من مفاسدها ، مفاسد الخمر والميسر ، المفاسد التي قتلت معنويات الناس ولم تبق لهم الا ماديات حولت حياتهم الى الشر » ٠

---

(٣) هاتزكوهين تشيكوسلوفاكى الأصل ، ولد ببراج سنة ١٨٩١ ونال اجازة الدكتوراه من جامعة براج سنة ١٩٢٣ ، ونزل الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ بعد أن طوف ببعض البلاد وأقام بها منذ ذلك التاريخ ٠ أمريكى الرعوية حاليا له عدة كتب عن القومية: كتب غير الكتاب الذى أشير اليه عدة كتب أهمها : « القومية والامبريالية فى الشرق » ـ « القومية والاتحاد السوفييتى » ـ « الفكرة السلافية تاريخها وأيديولوجيتها » ـ « فى القومية الامريكية » وآخر كتبه « القومية معناها وتاريخها » الكتاب الثامن من مجموعة « آنفيل بوكس » التى تصدرها شركة نوستراند كومبانى فى برنسيتون باشراف لويس سنيدر أستاذ التاريخ بجامعة سيتى كوليدج « المترجم » ٠

« لقد أخذ محمد بيد العرب من الفوضى والرذيلة والمنـــافاة لشريعة الآداب ، واليوم تتأرجح أوروبا فى خضم فوضى حيـاتها العامة ، وفقد الناس كل المعنويات فى حياتهم الخاصة ولا يعرفون الطريق الى الخلاص »

« ان الاسلام يحمل بذور الخلاص لأوروبا وللعالم ، والاسـلام يدعو الى المساواة والى العدالة والى الأخـوة بين كل الشعوب وبين كل الاجناس »

« ان الاسلام يجمع كل ما تستهدفه الاشتراكية الصحيحـة ، الاشـــتراكية التى لاتعرف الكبرياء ولا المبـاهاة بسبب المال أو اللون »

« ان عوامل اسـتـرخاء أو وهن وضعف أوروبا وافتقارها الى الشجاعة هى التى تمنعها من أن تتحول عن طريقهـا الذى سارت فيه طويلا لتتجه نحو طريق الحق »

● ●

وكتب المؤرخ الانجليزى هـ ج . ويلز صاحب كتاب « مجمـل التاريخ » :

« لقد كان الاسلام أفضل نظام اجتماعى سياسى يمكن أن يجىء به عصر من عصور التاريخ »

« ان الاسلام قوة دينمائية عالمية ما فى هذا من شك »

وكتب ليتنر LEITNR فى منتصف القرن التاسع عشر يقول :

« انه يبدو لى لو أن الناس قد نجحوا فى أن يغرســوا شيئا من الانطلاق الذهنى فى نفوسهم لتوافرت لهم دراية بالأديان الاخرى تباين ما يتوافر لهم منها اليــوم ؛ ولكانوا قد حاولوا دراستها من

مراجعها الأصلية بدلا من آن يحـــاولوا تفهمها عن طريق كتابات أعدائها الذين يعملون لتشويه حقائقها »

وكتب فى حديث آخر :

« لنسر مع الله .. ولنخضع لمشيئة الله ، اننا قد نفكر أحيانا فى هذا ، ولكن الاسلام يضع هذا عمليا فى العقيدة التى يبشر بهـا ، انها حجر الزاوية فى بناء الايمان »

وكتب العلامة براون BROWNE (٤) عن العرب :

« لقد كان الاسلام ولاشك هو الذى جعل هذا الشعب البسيط فى مظاهر حياته ـ بالرغم من عراقة أصله والذى لايمكن أى باحث أن ينكر خاصياته ـ جعل هذا الشعب يقوم بهذا الدور الرائع الذى قدر له ان يقوم به فى تاريخ الحضارة »

ويقول السير توماس ارنولد (٥) فى كتابه « الأجناس الغربية والعالم » :

« من أهم المظاهر البارزة فى العالم الاســـلامى ـ المظاهر التى أبرزها الكثيرون من المؤرخين والرحالة والمبشرين ـ مظهر الشعور بالوحدة التى يوجدها الاسلام ، وحدة تجتاز الحواجز والسياجات التى تقيمها الأوضاع الجغرافية والاتجاهات القوميـة ، لقد نجح الاسلام فى ازالة التنافس الجنسى ومشاعر الانعزالية الجنسية بما

---

(٤) السير توماس براون طبيب انجليزى ومؤلف فى عـــدة ضروب من التاريخ والعلوم (١٨٠٥ ـ ١٨٦٢)

(٥) توماس ارنولد من رجال التربيـة فى بريطانيا (١٧٩٥ ـ ١٨٤٧) وله ولد هو الشـــاعر ماتيـــــوارنولد (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨)

لايمكن أى دين آخر فى العالم أن يفعل ما فعله الاسلام وأن يحقق ماحققه »

وعاد توماس مرة ثانيــة فكتب عن « الحج » فى كتابه « تعاليم الاسلام » :

« ولكن ما هو أهم ، هو هذا الاجتماع السنــوى الذى يجمع بين المؤمنين من كل بقاع الأرض ليصلوا فى هذا المكان المقدس «الكعبة» الكعبة التى يولون وجوههم شطرها عندما يؤدون الصلاة فى بلادهم البعيدة ، وليس هناك ما هو أقوى من هــذا ليدرك المؤمنــون أن حياتهم المشتركة وأخوتهم والروابط التى تجمع بينهم هى روابط الدين الواحد ، وهنا فى هذه الصلاة عند الكعبــة يقــابل الزنجى الذى يعيش فى غربى افريقية أخاه المسلم الصينى الذى يعيش فى الشرق الأقصى ويقابل التركى المسلم أخاه المسلم الذى يعيش فى الجزر البعيدة عند أطراف بحر الملايو » .

وفى السمو بهذه الرابطة الوثيقة ، رابطة الايمان ، يقول القرآن الكريم ما معناه : ان الحياة المشتركة بين النــاس انما تكمن فى أعطاف عقيدة الأخوة بين الناس : ففى ســورة « آل عمران » آية ٦٤ مدنية :

« قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولاَ يتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

أى تعالوا يأهل الكتاب ، تعــالوا لنعقد اتفاقا بيننــا ألا نعبــد أحدا غير الله وألا نشرك به أحدا

القرآن والكتب السماوية التى سبقته

والقرآن كتاب الاسلام ليس غير زبدة كل ما سبقه من كتب مجتمعة معا : يقول القرآن الكريم فى سورة البينة آية ٢ ـ ٣ مدنية :

« رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً · فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » .

أى أتتهم الحجة الواضحة وهى محمد رسول من الله يتلو صحفا مطهرة من الباطل ، فيها أحكام مكتوبة مستقيمة ، أى يتلو مضمون ذلك ، وهو القرآن ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ·

وقد جاء هذا فى القرآن الكريم فى أكثر من آية ، وكلها تتحدث عن ضرورة الايمان بكل الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، فالذين لا يؤمنون بهؤلاء الأنبياء والرسل هم « الضالون » ، أما الذين لايفرقون بين أحد من رسله فسيكافئهم الله

ففى سورة « يونس » آية ٣٧ مكية :

« وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءانُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَـكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْـكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وفى سورة النساء آية ١٣٦ مدنية :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً) .

وفى « النساء » آيتا ١٥١ و١٥١ المدنيتان :

(أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً .

(أى يأيها الذين آمنوا داوموا على الايمان بالله ورسوله والكتاب الذى أنزل على محمد وهو القرآن والكتب التى نزلت من قبل على الرسل ، ان الذين يؤمنون بالله دون الرسل ، ويقولون نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعضهم يريدون أن يتخذوا بين الكفر والايمان طريقا يذهبون اليه ـ أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا لهم عذابا ذا اهانة هو عذاب النار ، أما الذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم فأولئك سوف يؤتيهم ثواب أعمالهم وكان الله غفورا لأوليائه رحيما بأهل طاعته

وفي هذه الآيات البينات نجد فى خطوط عريضة قانون التفاهم المشترك بين المؤمنين والذين يتبعون الأديان الاخرى ويؤمنون بالكتب التى جاءت قبل القرآن ؛ ثم يخطو القرآن خطوة أخرى فيطالب كل مسلم بأن يؤمن بكل أنبياء الله ورسله ، وفى تاريخ التعليم الروحى للانسان يقف الاسلام كالسراج المنير يهدى ويوجه .

وقد حال القرآن بين المسلمين والحط من مقام عيسى عليه السلام ، انه عبد الله آتاه الكتاب وجعله مباركا أينما كان وأوصاه بالصلاة والزكاة مادام حيا ، وبرا بوالدته ولم يجعله جبارا شقيا ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .

وكتب اميرسون EMERSON (٦) :

« من السهل فى هذا الدنيا أن تعيش كما يعيش الناس وأن تتبع مالهم من رأى ، ومن السهل عندما يكون الانسان وحده أن يعيش كما يحلو له ، يتبع ما يخطر له من رأى وماينتهى اليه من فكر ، ولكن الرجل العظيم حقا هو الذى يستطيع فى خضم المجتمع المتزاحم أن يظل مستمتعا بحلاوة الاستقلال الذى للوحدة ؛ لقد كان النبى محمد فى هذه الصورة ، صورة الرجل العظيم ، المثالى الكامل ، كانت حياته هى رسالته التى بعث للدعوة لها : الاسلام »

-----

(٦) رالف والدو اميرسون فيلسوف أمريكى وشاعر وله دراسات كثيرة (١٨٠٣ ـ ١٨٨٥)

الاسلام
ومبدأ عدم العنف

* الإسلام والاخوة البشرية
* تعريف المؤمن
* محمـد عليه الصلاة والسلام ومبدأ عدم العنف
* امة واحـدة
* الاســلام والســلام
* قام الدين الاسلامي على المحبة

الاسلام والأخـوة البشرية

الاسلام من الناحيتين العقائدية والتاريخيـة ، دين السلم ، دين عدم العنف « آهيمسا » ، وكلمة اسلام تعنى « السلم » أى اقـرار السلام ، ويعنى الاسلام الخضوع لله ، أى « السلم » مع الخالق سبحانه وتعالى .

فمسالمة الانسان تعنى السلم مع الله سبحانه وتعالى ، والسلم مع الله يتم عن طريق القيام بالاعمال الحسنة الطيبة نحو الناس من كل جنس وكل لون ، وفى سورة البقرية آية ١١٢ مدنية :

(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْـدَ رَبِّهِ ولاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

أى انقاد لأمر الله سبحانه وتعالى ـ وخص الوجه لانه أشرف الأعضاء ـ وهو موحد فله ثواب عمله ، الجنة

وفى سورة البقرة آية ٦٢ مدينة :

(إِنَّ الَّذِين آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا والنَّصارَى والصابِئِينَ مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)

(أى ان الذين آمنوا بالأنبياء من قبل أى بجميع الانبياء ، وان اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر فى زمن محمد وعمل بشريعته ـ لهم ثواب أعمالهم)

وفى سورة النساء آية ١٢٥ مدنية :

(ومَنْ أحْسَنُ دِيناً مِمّنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وهو مُحسِنٌ واتّبَعَ مِلّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً واتّخذَ اللهُ إبراهيمَ خَليلاً)

(أى لا أحد أحسن دينا ممن انقاد وأخلص عمله لله وهو موحد واتبع ملة ابراهيم الموافقة لملة الاسلام واتخذ الله ابراهيم صفيا خالص المحبة له) .

تعـريف المؤمن

والفكرة فيما توحى به هذه الآيات البينات أن من يعمل صالحا ومن ينقاد لأمر الله ويؤمن بأنبيائه ورسله ويؤمن باليوم الآخر له ثواب عمله ؛ والمؤمن من يقيم السلام ، و « السلام » عدم العنف و « السلام » رسالة الاسلام ومحور تعاليمه .

وفى الحديث الصحيح عن النبى عليه الصلاة والسلام : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه »

فليس بمسلم من يتخم من الطعام على حين يتضور جيرانه جوعا والقيام بعمل ينفع الناس لدقيقة واحدة أفضل من الصـــلاة والعبادة .

ويحدثنا القرآن الكريم فى سورة البقرة آية ١٧٧ مدنية عن تعريف المؤمن الحق :

(لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشرِقِ والمغرِبِ ،

ولكنّ البرّ مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ والملائكةِ والكتابِ والنّبيّينَ ، وآتى المالَ على حُبّه ذوي القُربى واليَتامى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسّائلينَ وفى الرّقابِ ، وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ ، والمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إذَا عاهَدوا والصابِرِينَ فى البأساءِ والضرّاءِ ، وحينَ البَأْسِ أُولئِكَ الّذِينَ صَدَقُوا وأُولئِكَ هُمُ المتّقُونَ)

(نزلت فى الرد على من زعموا ان البر هو الصلاة ، ولكن ذا البر ــ وقرئ بفتح الباء أى البار ــ هو من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب أى الكتب والنبيين وآتى المال على حبه له ذوى القرابة واليتامى والمساكين والمسافر (ابن السبيل) والطالبين احسانا وفى فك المكاتبين والأسرى وأقام الصلاة المفروضة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا الله والناس وكذلك الصابرون فى شدة الفقر والمرض ووقت شدة القتال فى سبيل الله ، والموصوفون بما ذكر ــ هم الذين صدقوا فى ايمانهم وأولئك هم المتقون)

والناس أصلا قد خلقهم الله سبحانه وتعالى من ذكر وأنثى (آدم وحواء) وجعلهم الله شعوبا وقبائل ليعرف بعضهم بعضا ، وحذرهم التفاخر بالنسب بل الفخر كل الفخر بالتقوى ، والله عليم بالناس خبير ببواطنهم .

وفى سورة الحجرات آية ١٣ مدنية :

(يا أيُّها الناسُ إنّا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْناكُمْ

شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

فمن عمى عن هذا فى الدنيا ، فهو فى الآخرة أعمى ، أعمى عن طريق الجناة وأبعد طريقا عنه ، ففى سورةالاسراء آية ٧٢ مدنية:

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)

« وقد أشار سيد على فى مقدمته لكتاب الميجور ارثر جلاين ليونارد فى كتابه : « الاسلام وقيمه المعنوية والروحيـــة » الى أن الاوروبيين كثيرا ما يخطئون فيصورون فكرة الأخوة الاسلامية تصـــويرا سيئا ، مع أنها اخوة انسانية لا تعرف التمييز بين الأجناس والالوان والمراتب ، وقد توسع المؤلف فى هذا البـاب وأنصف الاسلام بكتابه البديع الذى تناول فيه أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام ومبادئه وقيمة عمله الانسانى »

« وقد سلك السبيل نفسه الاستاذ محمد بدر فى كتابه القيم بالانجليزية « حقيقة الاسلام» ThE TRUTH ABOOU ISLAM الذى أصدره سنة ١٩١٠ وطبعته مطبعة المعارف بالقاهرة

« وقد أحسن ليونارد باشارته الى التعاطف مابين الاســلام والمسيحية بلواليهودية ايضا ــ أىبينه وبين الديانتين السماويتين ومعنى هذا التعاطف عمليا المعاونة على ايجاد اخوة انسانية ، وهو يعتمد على القرآن الكريم لاثبات ذلك » (٧)

---

(٧) « عظمة الاسلام » للمرحوم الدكتور أحمد زكى أبوشادى طبع دار الامام بالاسكندرية سنة ١٩٣٧ .

وانى أعتقد أن روح الاسلام انما تستهدف خير الانسانية

●■●

فالجنة اذن هى ثواب العمل الصالح ، وتوصف الجنة بأنها « دار السلام » والسلام من بين أسماء الله الحسنى (الله — الرحمن — الرحيم — الملك — القدوس — السلام — المؤمن — المهيمن — العزيز — ... حتى تمام أسمائه سبحانه وتعالى على ما جاء فى النصوص)

وفى سورة « الواقعة » الآيتان ٢٥ و٢٦ المكيتان :

« لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً . إلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً » .

(أى لايسمعون فى الجنة لغوا فاحشا من الكلام ولا مايؤثم ولكن يسمعون : سلاما سلاما ، وأصحاب الجنة لا شغل بها يتعبون فيه لأن الجنة لانصب فيها ، بل ينعمون فيها هم وأزواجهم لاتصيبهم الشمس ويتكئون على الأرائك ولهم فيها فاكهة ولهم مايتمنون ، يقول لهم ربهم : « سلام عليكم »)

« إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلاَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ . سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ».

سورة يس الآيات ٥٥ — ٥٨ مدنية

وفى (يونس) مرة أخرى آية ١٠ مكية نجد :

« دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »

(و« تحيتهم فيها سلام » أى تحيتهم فيما بينهم «السلام عليكم»)

ومسالمة الناس ، والكلمة الطيبة ، والتواضع تقترن معاً فى الآية ٦٣ مدنية من سورة الفرقان : « وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْناً وإذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً »

(أى عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه قالوا قولا يسلمون فيه من الاثم) .

وحديث السلام والجنة وثواب الآخرة فى القرآن الكريم أكثر من أن نحصيه فى هذه الدراسة الموجزة ، وفى الآيتين ٧٥ ـ ٧٦ المكيتين من سورة الفرقان نجد هذه التحية والسلام من الملائكة فى الحديث الى المؤمنين :

« أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً »

والمسألة هنا فى « ويلقون فيها تحية وسلاما » أى يلقون فى

الغرفة ـ فى الدرجة العليا من الجنة ـ تحية وسلاما من الملائكة

ثم إن الآخرة استكمال وتتمة للحياة الدنيا و « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ » البقرة من آية ١٥٦ مدنية : أى إنا ملكٌ وعبيدٌ لله يفعل بنا ما يشاء و إنا إليه راجعون فى الآخرة فيجازينا

يقول القاضى النعمان فى كتابه دعائم الاسلام » (طبع القاهرة سنة ١٩٥١ ج ـ ١ ص ٢٦٧) :

مر النبى صلى الله عليه وسلم بقوم فحياهم وتمهل وقال : « من أنتم » ؟ ، قالوا : « نحن من المؤمنين » ، قال : « هل عندكم برهان على ذلك ؟ » ، قالوا : « نعم » ، قال : « هاتوه » ، قالوا : « نشكر الله فى السراء ونصبر على الضراء ونسلم أنفسنا لقضاء الله » ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « انكم لمن المؤمنين » .

محمد عليه الصلاة والسلام ومبدأ عدم العنف

مسألة عدم التفرقة بين الرسل والكتب السماوية التى من عند الله

وقد كان عدم العنف « الهدى » الذى وجه اليه محمد عليه الصلاة والسلام المسلمين ، فقد دعا الناس الى الدين الجديد فى رفق، ولكن أروع صور الرفق وعدم العنف جاءت يوم فتح مكة : يقول الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : « حياة محمد » ص ٤٠٨ طبعة سنة ١٣٥٨ :

« وهذا محمد عندما نزل بأعلى مكة قبالة جبل هند ، وأجال بصره فى الوادى وفى الجبال المحيطة به التى كان يأوى الى شعابها حين يشتد به أذى قريش وتشتد به قطيعتها ، أجال بصره فى هذه الجبال وفى الوادى مبعثرة فيه منازل مكة يتوسطها البيت الحرام ـ بلغ من خضوعه لله أن ترقرقت فى عينيه دمعة اسلام وشكر للحق ، لا حق الا هو ؛ اليه يرجع الامر كله ، وشعر ساعتئذ أن مهمة القائد قد انتهت ، وسار حتى مكة ، فطاف بالبيت

سبعا على راحلته يستلم الركن بعصا منعطفة الرأس فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ، ووقف محمد على بابها وتكاثر الناس فى « المسجد » فخطبهم النبى عليه الصلاة والسلام وتلا عليهم قوله تعالى من سورة الحجرات آية ١٣ مدنية :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » ، ثم سألهم يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم

قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء

وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وأهل مكة جميعا ، فما أجمل العفو عند المقدرة ! وما اعظم هذه النفس التى سمت كل السمو فارتفعت فوق الحقد وفوق الانتقام ! »

● * ●

ولم ينكر الاسلام رسالة رسول ، ولم يفرق بين أحد من الرسل ، ولم يتنكر لكتاب من عند الله :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى

وما أُوتِيَ النَّبِيونَ مِنْ ربِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحدٍ مِنهمْ ونحنُ له مُسْلِمُونَ » البقرة ١٣٦ مدنية :

(أى قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا من القرآن ، وما أنزل على ابراهيم من الصحف العشر واسماعيل واسحق ويعقوب وأولاده والأسباط ، وما أوتى موسى من التوراة وعيسى من الانجيل ، وما أوتى النبيون من ربهم من الكتب والآيات ، لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، بل نحن له مسلمون)

والحديث عن الرسل وتعددهم ، وتوجيههم لدعوة الناس الى الحق قد جاء فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ، ونلقى فى هذه الآيات البينات الكثير من الحديث عن تكذيب الناس للرسل على تباين العصور ، وما كان جزاء هؤلاء من الله فى الدنيا مما تباينت صوره واختلفت ، وفى كل هذه الآيات تحية للرسل عامة :

ففى سورة يونس آية ٤٧ مكية :

« ولِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فإذا جاءَ رَسُولُهُمْ قضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ وهم لا يُظْلَمُونَ »

(أى ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم اليهم فكذبوه قضى بينهم بالعدل فعذبوا ، وينجى الرسول من صدقه وهم لا يظلمون بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء)

وفى سورة فاطر آية ٢٤ مكية :

« إِنَّا أَرسلناكَ بالحقِّ بشيراً ونذيراً وَإِنْ مِنْ أمةٍ إلا خَلاَ فِيها نَذِيرٌ » أي وما من أمة إلا سلف فيها نبي ينذرها

وفى سورة الزخرف الآيات ٦ و٧ و٨ مكية :

« وكم أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فى الأَوَّلين • وما يأتيهم من نَبِيٍّ إلاَّ كانوا بِهِ يَسْتَهزئون . فأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهم بَطْشاً ومَضَى مَثَلُ الأولينَ . »

(أى وكم أرسلنا من نبى فى الاولين ، وما أتاهم من نبى الا كانوا به يستهزئون استهزاء قومك بك ، فأهلكنا أشد من قومك قوة ، وستكون عاقبة قومك كذلك) .

وفى الصافات آية ١٨١ مكية :

« وسلامٌ على المُرْسَلِين » :

أى سلام على كل الانبياء والرسل المبلغين عن الله والتوحيد والشرائع ؛ وقد جاء ذكر (المرسلين) فى الصافات ست مرات بذكر أن إلياس ولوطا ويونس من المرسلين ، وفيها أيضاً النص على نصر المرسلين قال تعالى : « وَلَقَـدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ » آية ١٧١ مكية : (أى سبقت كلمتنا بالنصر لعبادنا المرسلين ، فى قوله تعالى: «لَأَغلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي» سورة المجادلة من آية

٢١ مدنية) أو فى قوله تعالى : « إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (.) » سورة الصافات الآيتان ١٧٢ و ١٧٣ المكيتان ، وهنا يقصد المؤمنين

أمة واحدة

وفى كل الآيات البينات التى عرضت للحديث عن الرسل نجد توجيه التحية والسلام عليهم فرادى وجماعة (سلام على ابراهيم ...) - (وسلام على المرسلين) ، كما نجد توجيه التحية - عن طريقهم - الى جميع الناس ، الناس الذين هم أمة واحدة تربط بينهم أواصر الاخوة

وفى سورة الأنبياء آية ٩٢ مكية :

« إِنَّ هذهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » :

(أى أن ملة الإسلام (أمتكم) دينكم أيها المخاطبون ، يجب أن يكون عليها الناس أمة واحدة ، وأنا ربكم وحدونى)

وفى البقرة آية ٢١٣ مدنية :

« كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعثَ اللهُ النَّبِيينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالْحَقِّ لِيحكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلفُوا فِيه وما اخْتَلَفَ فِيه إلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ماجاءتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهم فَهَدَى اللهُ الذِينَ آمنُوا لِمَا اخْتَلفُوا فِيه مِنَ

الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

(أى كان الناس أمة واحدة على الايمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ، فبعث الله النبيين اليهم مبشرين من آمن بالجنـــة ومنذرين من كفر بالنـار وأنزل معهم الكتاب ـ بمعنى الكتب ـ بالحق ليحكم به بين النـــاس فيما اختلفوا فيه من الدين ، وما اختلف فى الدين الا الذين أوتوا الكتاب ، فآمن بعض وكفر بعض من بعد ما جاءتهم الحجج الظـاهرة على التوحيـد بغيا من الكافرين ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من البيان بارادته والله يهدى من يشاء هدايته الى طريق الحق (تفسير الامامين جـلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبـــد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ص ٢٧)

وقد جاءت كلمتا (أمة واحدة) فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم بالاضافة الى ما ذكرنا :

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة المائدة من آية ٤٨ مكية

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة النحل من آية ٩٣ مكية

لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة هود من آية ١١٨ مكية

إن هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة الأنبياء من آية ٩٢ مكية

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة المؤمنون من آية ٥٣ مكية

لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فى سورة الشورى من آية ٨ مكية

الأنبياء مسلمون

والقرآن يصف الأنبياء عليهم السـلام على أنهم (مسلمون)

وان ما يدعون اليه انما هو « الاسلام » ، و « ان الدين عند الله الاسلام » ـ آل عمران آية ١٩ مدنية ؛ وفى سورة آل عمران أيضا ٦٧ مدنية :

«ما كانَ إبراهيمُ يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكنْ كانَ حنيفاً مُسْلماً وَمَا كانَ مِنَ المشركينَ ».

(أى أنه كان مائلا عن الأديان كلها الا الدين القيم ؛ وهذه يجب عندى أن تقرأ مع ما قبلها ، فالفكرة أنه كان من الممكن لليهود أن يحاجوا فى أمر موسى وعيسى ، ولكن كيف يحاجون فيما ليس لهم به علم من شأن ابراهيم والله يعلم شأنه وهم لايعلمون)

فالاسلام دين الفطرة للانسان يوم أن يولد لايعرف عقيدة غيره: ففى سورة الروم آية ٣٠ مكية :

«فأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً فِطْرةَ اللهِ التى فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعْلَمُونَ »

(أى يامحمد ، أقم وجهك للدين حنيفا ، مائلا اليه : أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فطرة الله) خلقته (التى فطر الناس عليها) أى الزموها ، لاتبديل لدين الله : أى لاتبدلوه بأن تشركوا ، ولكن أكثر الناس (كفار مكة) لايعلمون بدين الله)

والمسلم لا يحمل أصلا عداء لأحد ، والمسلم عندما يلقى رجلا

فى طريقه يبدؤه بقوله : « السلام عليكم » ـ « سـلام عليكم » ـ
فاذا قيلت له وجب أن يردها حتى لو كان قائلهـا عـدوا ،
وفى سورة النساء آية ٨٦ مدنية :

« وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنها أَوْ رُدُّوها إنَّ اللهَ كَانَ على كُلِّ شَيءٍ حَسِيباً » . . . .

أى ، واذا حييتم بأن قيل لكم : سلام عليكم ، فحيـوا المحيى بأحسن منها بأن تقولوا له : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، أو (ردوها) بأن تقولوا له كما قال ، أى الواجب احداهما والأولى أفضل

الاسلام والسلام

والفكرة العامة هى « المسالمة » ولهذا يقول القرآن فى سـورة الأنفال آية ٦١ مدنية :

« وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا وَتوكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

وقد جاءت هذه الآية فى القرآن الكريم بعد : « وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباطِ الخيلِ تُرهبون به عدوَّ اللهِ وعدوَّكم وآخرينَ من دونهم لا تعلمونهم اللهُ يعلمُهم وما تنفقوا من شىءٍ فى سبيلِ اللهِ يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون » (الأنفال آية ٦٠)

فالأصـل الاستعداد والتأهب للدفاع عن الوطن وعن الدين

واعداد القوات التى تصلح للقتـــال وتكفى واجب الدفاع ماديا ومعنويا ، **فاذا جنح العدو للسلم وجب ترك الحرب والجنـــوح للسلم**

●★●

وفى سورة النساء آية ٩٤ مدنية :

«يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُم فى سَبيلِ اللهِ فَتَبيَّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إليكُمُ السَّلاَمَ لسْتَ مُؤْمناً تَبْتَغُونَ عرَضَ الحياةِ الدُّنيا فعِنْدَ اللهِ مَغانمُ كثيرةٌ كذلك كُنْتُمْ مِنْ قَبْـلُ فَمَنَّ اللهُ علَيْـكُمْ فَتَبَيَّنُوا إنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبيراً »

(والفكرة ألا يقال لمن ألقى التحية والانقياد بقوله كلمةالشهادة لست مؤمنا ، ابتغاء عرض الحياة ؛ فان الله عنده مغانم كثيرة يمن الله بها على المسلمين المسالمين لمن ألقى اليهم السلم وانقـاد وأعلن اسلامه وايمانه)

وفى سورة يونس آيتا ٦٣ و٦٤ المكيتان :

« الذِّينَ آمنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشرى فى الحيـاةِ الدُّنيا وفى الآخِرَةِ لا تبْدِيلَ لـكلماتِ اللهِ ذَلِكَ هوَ الفــوزُ العظيمُ . »

(أى أن الذين آمنوا وكانوا يتقون الله بالامتثال لأمره ونهيه لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، أى لهم الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ولهم فى الآخرة الجنة والثواب)

وتستلزم المسالمة والسلام التواضع ، والمسلمون المؤمنون يجب أن يتواضعوا وأن يسيروا على الأرض هونا ، وقد كان النبى عليه السلاة والسلام مثلا للتواضع وكرم الاخلاق

يقول على بن برهان الدين الحلبى الشافعى فى الجزء الثالث من كتابه « انسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون — المعروفة بالسيرة الحلبية » : لما نزل قوله تعالى « خُذِ العفوَ وأمر بالعُرْفِ وأعرضْ عن الجاهلين » سورة الأعراف آية ١٩٩ مكية : قال له جبريل عليه السلام أى بعد أن سأله ﷺ فى ذلك : « ان ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » ، وفى الحديث : « لا ينال عبد صريح الإيمان حتى يكون كذلك » ، وفى الحديث ان ذلك أفضل أهل الدنيا والآخرة »

(وكان صلى الله عليه وسلم لايتكلم الا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق : لا يقطع على أحد حديثه ، ولايتكلم فى غير حاجة ، يعظم النعمة وان دقت)

● * ●

(وكان عليه الصلاة والسلام لايغضب لنفسه ولاينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض للحق بشىء ، وعند غضبه لذلك لايثنيه شىء عن الانتصار له ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم ، فان كان غائبا دعاله ، وان كان شاهدا زاره ، وان

كان مريضا عاده ؛ ويسأل الناس عما الناس فيه ، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ، لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر ، واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ، من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، عنده الناس فى الحق سواء) .

(وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه ، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ، وكان يقبل عذر المعتذر ، ما وضع أحد فمه فى أذنه الا استمر مصغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده صلى الله عليه وسلم حتى يكون الآخذ هو الذى يرسلها) .

سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت : خلقه القرآن : أى ماذكره القرآن وانك لعلى خلق عظيم ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال »

قام الدين الاسلامى على المحبة ولا اكراه فى الدين

ولقد كان الاسلام منذ البداية يدعو الى المحبة والسلام ، ولقد قام الدين على المحبة ولم ينشر بحد السيف على ما قال بعض الكتاب الفرنجة القدامى ، فلا اكراه فى الدين

فالإسلام دينُ اقتناع لا دينُ اتباع ؛ وهذا المبدأ من أصول عظمته ، ولذلك ورد فى القرآن الكريم : «إِنْ عَلَيكَ إِلاَّ البَلاغُ»

سورة الشورى من آية ٤٨ مكيـة ، وجاء « إِنَّما أنتَ نَذِيرٌ » سورة هود مِنْ آية ١٢ مدنية ؛ وفى القرآنِ الـكثير من آيات الحوار والمقارعة بالمنطق والدليل ، كما فيه من التنفير من التقليد وعدم التفـكير ، مثل قوله تعالى : « وَلاَ تَقْفُ ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ ، إنَّ السَّمعَ والْبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عنه مَسئُولاً » سورة الإسراء آية ٣٦ مكية ، وقوله تعالى: «إنَّما يتَذكَّرُ أُولُوا الألباب» سورة الرعد من آية ١٩ مدنية ، وقوله : « فَذَكِّرْ إنما أنتَ مذَكِّرٌ لستَ عليهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » سورة الغاشية آيتا ٢١ و ٢٢ مكية ، وقوله سبحانه وتعـالى : « فَهَلْ على الرَّسُولِ إلاَّ البلاغُ المبينُ » سورة النحل من آية ٣٥ مكية و « أفأنْتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يَكونوا مؤمِنينَ » سورة يونس من آية ٩٩ مكية و « ومَا نُرْسِلُ المرسَلِينَ إلا مُبشِّرينَ ومُنذِرينَ » سورة الأنعام من آية ٤٨ مكية . وهذه الروح الالهية فى الإسلام هى أسمى الأمثلة على أنه لا إكراه فى الدين

وفى البقرة آية ٢٥٦ مدنية نجد هذا صراحة ، قال تعـالى : « لا إِكْرَاهَ فى الدِّينِ قَدْ تبينَ الرُّشْدُ منَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤمنْ باللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انفِصَامَ لها واللهُ سميعٌ عليمٌ »

(نزلت فيمن كانوا من الأنصار وأريد إكراههم على الإسلام — ومن يكفر بالشيطان والأصنام ويؤمن بالله فقد تمسك بالعروة الوثقى — أى بالعقد المحكم — لا انقطاع لها والله سميع لما يُقال عليم بما يُفعَل) :

(يقول الأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره ج ٣ ص ١٨ « وقد جعل المسلمون قوله تعالى (لااكراه فى الدين) أساسا من أسس الدين وركنا عظيما من أركان سياسته فلم يجيزوا اكراه أحد على الدخول فيه ، كما لم يجيزوا لأحد أن يكره أحدا على الخروج منه »)

ومن هنا رأى فى تفسيره لقوله تعالى « حتى يكونَ ٱلدِّينُ كلُّه لله » على أن المعنى : حتى يكون الدين كله خالصا لله غير مزعزع ولا مضطرب ، ولن يكون كذلك الا اذا كفت الفتن عنه وقوى سلطانه حتى لايجرؤ أحد على أهله ، ومن هنا كانت فريضة القتال ليكون (القتال) سياجا ووقاية لصد من يقاوم هذه الدعوة)

ومع أنه لا اكراه فى الدين فلا بغض للكفار لأن الاصل العدالة بين الناس ، ففى المائدة آية ٨ مدنية :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى واتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ »

(أى كونوا قائمين لله بحقوقه ، شهداء بالعدل ولا يحملنكم بغض

قوم (أى الكفـــار) على ألا تعـــدلوا فتنالوا منهم لعداوتهم ، اعدلوا فى العدو فالعدل أقرب للتقوى ، واتقوا الله انه سبحـانه وتعالى خبير بما تعملون فيجازيكم به)

ويبدو هذا السمو عندما نجد فى ســورة الحجرات آية ١٣ مدنية :

«يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

وسورة الحجرات مملوءة بالتوجيه للمؤمنين :

« لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

ولا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ »

«إنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بنَبَأٍ فَتَبيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ»

«و إنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ »

«إنَّما الْمُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ»

«لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ»

«ولا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ»

«اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

ولا تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً»

ثم ، إنا خلقناكم من آدم وحواء ، وجعلناكم شعوباً (أعلى طبقات الشعب) وقبائل (دون الشعوب) لتتعارفوا — أى ليعرف بعضكم بعضاً — لا لتتفاخروا بعلو النسب إنما الفخر بالتقوى فإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله عليم بكم خبير ببواطنكم .

والذى يجب أن نلاحظه هنا هو مخاطبة الجنس البشرى كله مباشرة فى كلمتى « يا أيها الناس » ، ولم تبدأ هذه الآية الكريمة كما بدأت آيات سابقة بكلمتى « يا أيها المؤمنون » ، أو بكلمات « يا أيها الذين آمنوا » ، فالقصد هنا التعميم فى نطاق واسع ، فالله سبحانه وتعالى ـ على ما جاء فى خاتمة الكتاب الآيات ١ و٢ و٣ مكية وفى سورة الناس الآيات ١ و٢ و٣ مكية ـ الرحمن الرحيم ـ رب العالمين ـ مالك يوم الدين ـ رب الناس ـ ملك الناس ـ اله الناس ؛ أى هو ذو الرحمة وهى ارادة الخير لأهله ، مالك الجزاء يوم القيامة ، ملك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم .. ، خالقهم ومالكهم ، وخص الناس بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الوسواس فى صدورهم

والناس كلهم سواسية ، وقد تحدث الاسلام عن الاخوة الصحيحة بين البشر لا تفرقة عنصرية ولا مفاضلة بسبب اللون أو الجنس ، ومظهر المساواة فى اطاعة ولى الامر :

« يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فإن تنازعْتمْ فى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُول »

سورة النساء آية ٥٩ مدنية .

(يرى فضيلة الأستاذ محمد محمود حجازى فى كتابه (التفسير الواضح ج ٥ ص ٢٩ أن هـــذه الآية تكمل مع الآية التى قبلها :

« إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا وإذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بهِ إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً » — أساس الحكومة الاسلامية التى هى : (الأمانة — العدل — الطاعة) .

ويفسر (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ...) بأن أطيعوا الله بتنفيذ أحكامه والعمل بكتابه ودستوره ، وأطيعوا الرسول فهو الذى يبين لكم دستور السماء ، وأطيعوا أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد فى الأمة أى السلطة التشريعية فى البلد ، أطيعوهم متى أجمعوا على أمر من الأمور بشرط أن يكونوا أدوا الأمانة وأقاموا العدالة وأطاعوا الله ورسوله بتنفيذ دستور القرآن)

والله هو الذى خلق الناس ، وهو الذى يملك الجزاء يوم

القيامة ، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ، ولهدى من فى الأرض جميعاً ،
وإذن فلا إكراه على شيء

وتلقى هذا فى سورة البقرة بآية ٢١٣ مدنية .
وفى سورة يونس آية ٩٩ مكية :

« واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »
« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فى الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »

(أى أفأنت تكره الناس على شيء لم يشأه الله منهم ؟ فما كان لنفس أن تؤمن الا بارادة الله ويجعل الله العـــذاب على الذين لا يتدبرون آيات الله) .

وهكذا يتضح لنا مافى تعاليم الاسلام من مساواة بين الناس ، ومن اخوة بينهم ، وقد سـبق الاســلام كل آراء الفلاسفة الذين تحدثوا عن الأخوة البشرية ، وما انتهوا اليه فى عصر حديث من الدعوة للتعايش السلمى بين بنى البشر ، يقول السير عبد القادر فى ترجمته الانجليزية لكتاب الدكتور ســونيتى كومار شاترجى « بهارات سانسكريتى » الذى كتبه بالبنغالية (٩) :

« ورأيى أن أحسن ما يجب أن نستهدفه هو أن نعمل لوحـدة الجنس البشرى على أساس تقبل ما يمكن أن نجده من تباين فى

---

(٩) Bharat Sarskriti by Suniti kumar ChatterJi
طبع سنة ١٩٤٤

التفكير الديني ، ونجد في القرآن الكريم الحقيقة الصحيحة فلو شاء الله سبحانه وتعالى لجعل الناس كلهم يتبعون دينا واحدا ، ولكن كانت رغبته جل وعلا أن يضع الناس موضع التجـــربة والاختبار فيستخدم الانســـان عقله ويفكر متحـررا من كل قيـد ليختط وجهته ، ويبدو أن تباين الناس واختلاف الفكر البشرى جزء من مسألة الخلق نفسها ، ومن ثم فلندرك أن كل الأديان لها حق البقاء على أساس اخوة الناس ، ولندرس مبادىء كل الأديان ولنحتر مهاكلها » :

يقول العـــلامة « همايون كبـير » في بحث له بعنوان « العلم والديمقراطية والاسلام » (ثقافة الهند ـ ديسمبر سنة١٩٥٦ ص ٦٧ ـ ٩٠) ترجمة الأستاذ السيد عبد الخالق النقوى : « .... وعلى كل فان الاسلام يعترف بتصور التساوى بين المسلمين لافى النظرية فقط بل فى الحيـــاة التطبيقية أيضـا : فالعمل بتساوى الأقدار البشرية عمل فى نفسه جليــل ونبيل ، حيث ان اخراج هذا المبدأ الى حيز العمل انما هو ميزة ينفرد بها الاسلام قبل غيره من الأديان ، لان كل دين يعترف بمبدأ « أبوة » الله وأخوة البشرية وذلك الى حد التصـــور فقط ، أما ما يتعلق بتطبيقه على معاملة الحياة اليومية فهذا مما لم يتم انجـازه ، وبقيت الأبوة الالهيـة موضوعا نظريا لا يتعدى حدود العقيدة فقط وليس له أى تأثير فى السلوك الأنسانى ، ففوارق اللون والنسل ، وحـــواجز الفقر كانت قد أوهنت جميع عرى الأخوة الانسانية الى حد لا يوصف »

« حتى جاء الاسلام فلم يكن لأعدى أعـدائه الا أن يعترف بأنه قد ألغى جميـع الفوارق القائمة على أســاس اللون والنســل وعلى قاعدة الفقر والغنى بين المســلمين ونجح كل النجـاح فى تطبيق مبادئه الانسانية على أتباعه على الأقل ، ولم يكن هذا التساوى فى نطاق العبادات بل عم جميع مظاهر الحياة الانسانية : لقد ذهب الاسلام بكل كبرياء ونسخ جميع مظاهر الجاهلية »

« ولما كان الاسـلام ينزل الحقيقة التجريبيـة منزل الشرف والاحترام ، صارذلكسببا آخر لاهتمامه بمبدأ المساواة الانسانية أمام الله والمجتمع . أن تصور الحياة الأخروية الخالدة يجعلنا نتحمل كل ازدراء وحطة فى حياتنا الدنيا ، واذا كانت الحياة الدنيا ذات أهمية فائقة فيجب على الفرد أن يحقق كرامته فى هـذه الحيـاة الدنيا ، وهذا مما يوضح أن الطبقة الكهنوتية ليس لها وجود فى الاسـلام »

يقول غاندى : « اننى أومن بكل الحقائق والأصول الاساسية فى كل الأديان العظيمة فى العـالم ، وأومن بأنها من عند الله وآنها كانت ضرورية للشعوب التى أنزلت اليهـا وبعثت لها مع الرسل » .

وفى حديث آخر يقول غاندى : « قـد تختلف كل الأديان فى نقاط ، ولكنها كلها تتفق فى أن لا شىء فى العالم يبقى دائما غير الحق » ، والحق الذى يقول عنه المهاتمـا هو أنه الهه كما أن عدم العنف وسيلته لادراك الله .

وكما دعا القرآن الى حب الناس دعا الى حب كل ما فى المجتمع من حيوان وطير ، فالكل أمم مثل الناس فى تدبير خلقها ورزقها وأحوالها وما فرط سبحانه وتعالى فى اللوح المحفوظ من شىء لم يكتبـه ، والكل سيحشرون الى ربهم فيقضى بينهم ويقتص للجماد من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا :

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ »

سورة الأنعام آية ٣٨ مدنية .

التسمح والأناة والصبر في الإسلام

* التسمح فى عرض تعاليم القرآن
* امتداد روح التسمح
* حديث التعاون وعدم التعاون مع غير المسلمين
* استغفار ابراهيم لأبيه
* التشريع لعدم العنف ولعدم التعاون

التسمح

من أهم التعاليم التى جاء بها القــرآن الكريم « الاخوة بين الناس » ، والمسلم لا يحمل أصلا عداوة لأحـد ، والله قـد خلق الناس من آدم وحواء وجعلهم شعوبا وقبـائل ليتعارفوا وأقربهم عند الله أتقاهم ، وقد فرض الاسلام أخوة صحيحة بين البشر لا تفرقة عنصرية ولا حاجز يسد طريق فرد ، وكانت هذه الاخوة الصحيحة أساس قانون تعامل المسلم مع غير المسلم تعاملا يقوم على البر والتعاون عليه ، لا على الاثم ولا على العدوان .

ففى سورة النساء آية ٣٦ مدنية :

« واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وبِذِى الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ والْجَارِ ذِى الْقُرْبَى والْجَارِ الْجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا »

(أى اعبدوا الله ووحدوه وأحسنوا بالوالدين برا ولين جانب ، وذوى القرابة والجار القريب منك فى الجوار أو النسب والجـار البعيد عنـك فى الجوار أو النسب ، والرفيق فى سفر أو صناعة والمنقطع فى سفره ، ان الله لا يحب من كان متكبرا فخورا على الناس بما أوتى)

وفى سورة المائدة آية ٢ مدنية :

« يا أيُّها الذين آمَنُوا لاَ تحِلوا شعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشهْرَ الحَرَامَ ولا الهَدْىَ ولا القَلاَئِدَ وَلاَ آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ ورِضوَاناً وإذَا حَلَلْتمْ فاصْطَادُوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكمُ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ »

(أى لاتحلوا قاصدين البيت الحرام بأن تقتلوهم ، يبتغون رزقا من ربهم بالتجارة ، واذا حللتم من الاحرام فاصطادوا ، ولايحملنكم بغض قوم لأجل أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم بالقتل وغيره ، وتعاونوا على فعل ما أمرتم به ، وتعاونوا بالتقوى أى بترك ما نهيتم عنه ، ولاتعاونوا على المعاصى وتعدى حدود الله)

(يقول السـيد همايون كبير وزير الحكومة الهندية المركزية للأبحاث العلمية والشئون الثقافية فى بحثـه بالانجليزية عن « الاسلام يدعو الى السلام » : « ان الاسلام كما يستدل عليه لفظا هو دين السلام ، الذى تستسلم فيه ارادة الانسان الى ارادة الله عز وجل . وقد كان أثبت وأصدق قواعد السـلام التى جاء بهـا الاسلام : « الاعتقاد بالأخوة البشرية »)

(والتسليم بأن البشر يتساوون فى نظر الله أول خطوة نحـو السلام ، وكذلك فان التسمح وحسن النيـة انما ينبعثـان من شعور الانسان الفرد بكيان « المجموعة الانسانية » ، ولعل دينا من الأديان لم يوفق الى ابراز الاخوة الانسانية وتأكيدها على نحـو

مافعل الاسلام ويفضل اشهاده للاخوة البشرية ، قضى الاسلام على جميع الفوارق أو عوامل التمييز بين الناس التى تقوم على أساس الجنس أو اللون ، وقد طبق الاسلام هذه الاخوة لا باقامة فروض دينية ، بل باعترافه بالتزاوج الذى يقع بين أشخاص من مختلف الأجناس والالوان)

(وقد أبرز الاسلام أن الانسان يجب لاظهار تفانيه فى سبيل السلام أن يتبع أعماله أقواله ، ويجب أن تتمشى أعماله وتتفق مع تعاليم دينه ، وقد نظم القرآن هذا فى النص على أداء الامانة والعمل فى الاحكام ورسم الأصول الصحيحة فى التعامل اليومى بين الناس وهو تنظيم ينطوى على معان عظيمة وله أهمية بالغة)

(ويبرز هذا الطابع للتسمح عندما نجد المسلمين يوم ان دانت لهم مكة يمتثلون لأمر القرآن ، اذ كان بعضهم قد ارادوا ان يخرجوا منها المشركين عبدة الاوثان انتقاما منهم لما فعلوه فى العام السادس للهجرة بمنعهم المسلمين من الوصول الى الكعبة ، والقرآن الكريم يحرم هذا ، وواجب المؤمنين ان يبقوا للبيت الحرام وللشهر الحرام قدسيتها بأن يسمحوا حتى للمشركين أن يقدموا الأضاحى عندالكعبة تبعا لتفاليدهم وشعائرهمغير الاسلامية (١٠) فلم يكن فى روح الاسلام الاعتداء ولا الكراهية بل ان كل تعاليمه تتجه الى الحق والحب) ففى المائدة من آية ٢ مدنية :

« ولا تَعَاوَنوا على الإثم وَالعُدوَانِ ») .

(وتمّر سنوات ، والتعالم قائمة ، التعاليم التى تقضى بالتسمح والتعاون على البر ، ويطلب بعض المسلمين من الخليفة عمر الفاروق أن يأمر بايقاف دق ناقوس احدى الكنائس

---

(١٠) «القرآن الكريم» بالانجليزيةللسيد / عبدالله يوسفعلى

فيأبى غاضبا لأن للمسيحيين كل الحق فى عبادة الله بكنائسهم كما يعبده المسلمون فى مساجدهم ، وأى تدخل فى عقائد المسيحيين يتعارض هو وتعاليم القرآن ، ولكن يمكن ان يطلب المسلمون من المسيحيين كأصدقاء وكمواطنين فى بلد واحد ألا يدقوا نواقيس الكنائس أثناء أداء المسلمين للصلاة فى مواعيدها الخمسة بالمساجد أى ألا يكون فى دق النواقيس بأية صورة كانت ايذاء للمسلمين ، وتستكمل القصة فصولا بأن يستجيب المسيحيون لهذا الطلب فلا يدقوا نواقيس كنائسهم وقت صلاة المسلمين طواعية كأصدقاء وكمواطنين)

وهذه الصورة صورة رفض خليفة المسلمين أن يتدخل بسلطته وسلطانه ــ وقد دانت له الأرض شرقا وغربا ــ لايقاف دق نواقيس كنيسة فى بلد من الأمصار الاسلامية التى دانت له فيستجيب المسيحيون للأمر اكبارا للخليفة ، وهذه الصورة صورة المسلمين الاولين يسمحون للمشركين من أهل مكة بأن يقوموا بتقاليدهم غير الاسلامية فى جوار الكعبة فى الشهر الحرام وقد دان الأمر فيها للمسلمين ابقاء على حرمة البيت وحرمة الشهر الحرام ــ هذه الصورة أو تلك نجدها مكررة واضحة بارزة فى تاريخ الاسلام تتحدث عن الروح السمحة التى للدين الاسلامى)

●*●

امتداد روح التسمح

وتمتد روح التسمح حتى ليأمر القرآن المسلمين بألا يسبوا الذين يدعون من دون الله ، وفى سورة « الانعام » آية ١٠٨ مدنية :

« وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا

بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

والفكرة هنا فى الأمر بعدم سبب أحد حتى الذين يدعون من دون الله ألا يتنكب المسلمون فيما هو أكبر بغير علم ، وقد حفل تاريخ النبى الكريم بالكثير من أدلة التسمح :

يقص رواة الحديث أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يجلس فى جمع من الصحابة فمر بهم جمع من يهود يشيعون أحد موتاهم، فوقف النبى تكريما للميت ، فقال أحد الصحابة : ان المتوفى يهودى ، فأجاب الرسول الكريم : « من يدرى أنه ليس مؤمنا بالله ! »

ويروى أن جماعة من قبط مصر نزلوا مكة فأنزلوا دارا تجاور المسجد ، فلما أرادوا أداء صلاتهم كان من الضرورى أن يؤدوها في مكان طاهر مقدس وأن يقيموا لهم مذبحا يصلون أمامه، ولكنهم لم يجدوا هذا المكان الصالح فى تقديرهم ، وخشوا اعتداء المسلمين لو أقاموا صلاتهم عند المسجد ، ولم يعرفوا ماذا يفعلون ، فتحدثوا بأمرهم الى النبى الكريم ، فذهب بهم الى المسجد وسمح بأداء صلاتهم علانية وبقى يحرسهم بنفسه حتى آتموا صلاتهم ، ولم يجد القبط دليلا أكبر من هذا على التسمح فى الاسلام ، وعاد القبط الى كنيستهم وملكهم ينقلون اليه ما شهدوه وما خبروه من روح التسمح فى الاسلام .

ومن ثم ، فبالمحبة لا بالسيف دعا النبى وخلفاؤه الى الاسلام ؛ ذلك لأن النصر بالحجة أقوى من النصر بالسيف ، وندرك هذا من الآية ٢٨٦ مدنية من سورة البقرة وآخرها قوله تعالى وهو أصدق القائلين :

« وانصرنا على القوم الـكافرين » ، أى انصرنا باقامة الحجـــة عليهم والغلبة حين قتالهم والأول أشد تأثيرا وأقوى فعلا فانه نصر على الروح والعقل أما النصر بالسيف فهو نصر على الجسد فحسب (تفسير المراغى ج ٣ ص ٨٤) .

وقد فرض الاسلام على المسلمين اجارة من يستجير بهم ، وفى سورة التوبة آية ٦ مدنية :

« وإنْ أَحَدٌ مِنَ المشْرِكينَ استجارَكَ فَأَجِرهُ حتى يَسْمَعَ كلامَ اللهِ ثم أَبْلِغهُ مَأْمَنَهُ ذلكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ »

وجعلهم يسمعون كلام الله لايعنى ارغامهم على الاسلام كراهية ، وقد قال بهذا العلامة «سال» Sale فى تعليقه على القرآن (١١) ويقول العلامة عبد الله بن يوسف فى كتـابه « القـرآن المقدس » بالانجليزية :

« فان تقبلوا كلام الله فانهم يسلمون ولا يثار بعد هـذا شىء عنهم ، ولكن اذا بقوا سيرتهم الأولى ولم يتقبلوا الاســـلام فانهم يحتاجون الى وقاية مزدوجة ، بقصد ابلاغهم مأمنهم ، ووقايتهم من شر أنفسهم .

صحيح أن كل ما جاء فى القرآن الكريم من حـديث عن غـير المؤمنـين واجارتهم وابلاغهم مأمنهم ، وجعلهم يسمعون كلام الله عسى أن يجعـل الله بينهم وبين المسلمين مودة ورحمـة ويهديهم

---

(١١) ســال ، جـورج ســال (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦) مستشرق انجليزى صدرت ترجمته للقرآن مع تعليقه عليــه سنة ١٧٣٤ ، عمل سبع سنوات فى اعداد ترجمة عربية « للعهد الجـــديد » للهيئات التبشيرية التى تعمل فى البلاد التى يقرأ أهلها العربية

للايمان ـ صحيح ان كل هذا قد قصد به أهل مكة من المشركين ، ولكن الحديث خرج من التخصيص الى التعميم ، وفى تاريخ قادة الجند الاسلامى الكثير من صور التسمح ، وقد نقلوه كلهم من آيات القرآن الكريم ومن تعاليم الاسلام ، وما عرفوه عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفى سورة الممتحنة الآيات ٧و٨و٩ مدنية :

« عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بينَكم وبينَ الذينَ عادَيتُمْ منهمْ مَوَدَّةً واللهُ قديرٌ واللهُ غفورٌ رحيمٌ . لا ينهاكُمُ اللهُ عنِ الذينَ لمْ يُقاتلوكُمْ فى الدِّينِ ولمْ يُخرجُوكُمْ مِنْ ديارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطينَ . إنما ينهاكُمُ اللهُ عنِ الذين قاتَلوكُمْ فى الدِّينِ وأَخْرجُوكُمْ مِنْ ديارِكُمْ وظَاهَرُوا على إخراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ فأولئكَ هُمُ الظالمونَ »

(أى عسى أن يجعل الله بينكم وبين الذين عاديتم من كفار مكة ، مودة بأن يهديهم فيصيروا لكم أولياء والله قدير على ذلك ـ وقد فعله بعد فتح مكة ـ والله يغفر لهم ما سلف رحيم بهم ، والله لاينهاكم عن المسالمين الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتعاملوهم بالعدل ، وانما ينهاكم عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وتعاونوا على اخراجكم أن تتخذوهم أولياء ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . الظالمون .

ولكن ماذا أن تابوا ؟ .. هنا يقول القرآن فى سورة التوبة آية ١١ مدنية :

« فإنْ تَابُوا وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزكاةَ فإخْوانُكُمْ فى الدِّينِ ونُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمونَ »

أى نبين الآيات لقوم يتدبرون ...

هنا يقول الأستاذ طيب الله صاحب : « حتى لو لم يعتنقوا الاسلام » ، مستندا الى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية ١٧٠ :

« والذينَ يُمسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وأَقَامُوا الصَّلاةَ إنَّا لا نُضِيعُ أجْرَ الْمُصلِحِينَ » :

(أى الذين يتمسكون بالكتاب ومافيه من أحكام ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فسيجازيهم ربهم أحسن الجزاء) وفكرة المؤلف هنا أن الدين لله ، فالقرآن يقول :

« لا اكراه فى الدين » ومع مافى تفسير الآية الكريمة « البقرة آية ١٩٣ مدنية » :

« وَقَاتِلُوهُمْ حتَّى لا تكونَ فِتنةٌ ويكونَ الدِّينُ لِلهِ فَإنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظالِمينَ »:

(أى قاتلوهم حتى لاتوجد فتنة ، **وتكون العبادة لله وحده لايعبد سواه ، فان انتهوا من الشرك فلا تعتدوا عليهم لأن من انتهى من الشرك** ليس بظالم ، مع هذا التفسير فان الكثيرين يقفون أمام كلمتى « الدين لله » على أن هذا هو مبدأ التسمح والأناة والصبر فى الاسلام)

ويبدو أن هذا الطابع التفكيرى هو الذى خرج بالتعريف الذى جاء فى معجم اكسفورد لكلمة Toleration « التسمح » أى على أساس أن التسمح هو الاعتراف بحق النـاس فى التفكير الحر الطليق ، وفى حرية العبادة ، فالتسمح قانون (لعدم العنف) لا (للعنف) ، قانون (للحب) لا (للالزام) ولا (للاكراه) ولا (للاجبار)

وفى النظام الاسلامى ، نظام الحكم الاسلامى ــ حتى فى عصر حديث ــ تجد مبدأ التسمح متبعا بدقة ، وتصدر حكومة الخليفة العثمانى المسلم الامرين السلطانيين (الخطين الشريفين) لسنـة ١٨٣٦ ولسنة ١٨٥٦ وفيهما :

« قد صدر هذا التصريح تبعا لأصول الشريعة ويقضى بالمساواة فى الحرية الدينية لكل المواطنين فى تركيا الذين يتبعون أصول الديانات الثلاث » (١٨٣٦) ، « ولكى تستطيع كل جماعة دينية أن تمارس فى حرية كاملة تعاليم دينها دون تدخل نصرح بأن لكل مواطن أن يعبد الله تبعا لأوامر دينه ، وألا يجبر أى شخص على ترك دينه ومعتقده » (١٨٥٦)

على أن فوق هذا كله عهد رسول الله صلى الله عليـــه وسلم للمسيحيين فى كل أنحاء الأرض ، العهد الذى كتبـه فى اليـوم الثالث من شهر المحرم فى العام الثانى للهجرة (٦٢٤ لميلاد عيسى عليه السلام) ، والذى يعتبر حلقة بارزة فى تاريخ الاسلام .

يقول تعالى فى سورة البقرة آية ٦٢ مدنية :

« إِنَّ الذِينَ آمَنُوا والذِينَ هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ

بِاللهِ واليومِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلهُمْ اجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَليْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ »

(أى لهم أجرهم عنــد ربهم لا فرق بين المؤمنين **ومن لم تبلغهم دعوة الاسلام على حقيقتها من غير تشــويه** ، فلا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيــامة ولاهم يحزنون على ماخلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده ، والذين ولدوا غير مسلمين ولم تبلغهم رسالة الدعوة الاسلامية على حقيقتها من غير تشويه شأنهم شــأن الذين سبقوا رسالة محمد أو عاصروه ولم يعرفوا رسالته على حقيقتها (١٢) »

ولننظر مرة أخرى الى عهد رسول الله لليهود فى المدينة وما تم نحوهم بعد قتال بنى النضير وبنى قريظة ، وبعد خيبر ، هــــذا العهــد الذى تبــدو فيه روح التسمح فى طابع فريد ، ولكن هذا لم يمنع شيوخ بنى النضير من التجوال يثيرون القبائل ويمنحون الوعود والعروض ، ويسرفون فى المنح والعطاء حتى قيــل انهم اشتروا سواعد بنى غطان بتمر خيبر لمدة سنة ، وقد فعل اليهود الأعاجيب لاكتساب قلوب الناس واثارتهم على المسلمين ، واخافة الناس من هذه القوة الفتية التى تكتسح كل شيء ، والتى هزمت قريشا يوم بدر وكادت تفعل هذا أيضا يوم أحــد ، فكانت معركة الأحزاب التى كسبها المسلمون ، ونفذ النبى الكريم فى اليهــود حكم سعد بن معاذ الذى اختاره اليهود من انصارهم الأوس حكما بينهم وبين المسلمين .

---

(١٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٧ و ص ١٦١ « حياة محمد » الطبعة الثالثة لسنة ١٣٥٨ هجرية للمرحوم الدكتــــور محمد حسين هيكل

وقد حدث هذا كله على تتابعه فى وقت كانت حيـاة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة أنصاره المهاجرين الذين تبعوه عرضة لتهديد اليهود ومهاجماتهم ومناصرة أعدائه عليه ، ووقوفهم وهم الذين يؤمنون بالتوحيد الى جانب عبدة الأصنام من قريش فضلا عن ايذاء المسلمين ودس السم للنبى نفسه .

● * ●

وهكذا نستطيـع أن ندرك أن احترام الايمان واطلاق الحـرية الدينية فى بلاد العـرب كانا سابقة لفضـيلة لم تعرف قبـل الاسلام ، بل لم تبلغه دولة متحضرة قديمة أوحديثة ، حتى الأمم المسيحية فى عصر بلغ فيه التقدم العلمى والحضارى شأوا بعيدا لاتزال بعض هذه الدول الكبيرة تتردى فى بعض مركبات النقص الجماعية فى غمرة ما تزعمه لنفسها من سيادة للجنس أو اللون.

ثم كان الإذن للمسلمين بالقتال فى سبيل الله : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » (الحج)— آية ٣٩ مدنية ؛ وكتب على المسلمين القتال وهو كره لهم لأنهم يرون فى الحرب شرًّا : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ » (البقرة) آية ٢١٦ مدنية ؛ وكانت للحرب قوانينها وأصولها : « وقَاتِلُوهُمْ حتَّى لا تَكونَ فِتنةٌ ويكونَ الدِّينُ لِلهِ » (الأنفال) آية ٣٩ مدنية— و« الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ »

(البقرة) آية ١٩٤ مدنية .

ولكن الذى يعنينا هنا فى هذه المرحلة من الحديث أن الاسلام فى الواقع لم يشجع المنازعات الدينية بل أطلق الاسلام التسمح ونص على عدم العنف حتى فى القتال وتشريعه وأصوله على ما سنعرض له بعد صفحات فى حديث قادم عن (القتال والسلم فى القرآن ، ومبدأ الدفاع عن الوطن : بها جوات جيتا)

التعاون وعدم التعاون مع غير المسلمين :

على أن هنا ناحية هامة يجب أن تدرس بعناية هى مسألة « التعاون » و « عدم التعاون » مع غير المسلمين تبعا لأصول وأسس نص عليها القرآن فلم يترك شيئا دون تحديد .

يقول تعالى فى الآيات ١ و٢ و٧ و٨ و٩ من سورة « الممتحنة » (١٢)

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ

---

(١٢) « الممتحنة » السورة ٦٠ من القرآن الكريم ، وهى خامسة السور التى نزلت بالمدينة ، وترتيبها : البقرة ــ الأنفال ــ آل عمران ــ الاحزاب ــ الممتحنة ، وآياتها ثلاث عشرة آية كلها مدنية

بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ »

« عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

(قصد أصلا كفار مكة ، فهم أعداء الله وأعداء المسلمين، ومن ثم فيجب ألا توصلوا اليهم بالمودة ومن فعل فقد كفر بما جاء من الحق أى كفر بدين الاسلام والقرآن ٠ وأخطأ طريق الهدى والسواء ، ذلك لأن الكفار لو ظفروا بالمسلمين لثقفوهم أى لبسطوا اليهم أيديهم بالقتل والضرب ولسبوهم وشتموهم ، وتمنوا لو كفر المسلمون ، ولكن مع هذا عسى الله أن يهديهم للايمان فيصيروا أولياء للمسلمين والله قدير يغفر لهم ما سلف من أعمالهم ، ولكن مرة أخرى ، لم ينه المسلمين عن مودة الكفار الذين لم يخرجوهم من ديارهم بأن يبروهم وبأن يقضوا لهم بالقسط أى بالعدل ، وذلك حتى جاء أمر الله بجهادهم ، وانما ينهاهم عن أن يتخذوا الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم وعاونوا على اخراجهم أولياء ٠)

وهنا كان من الضرورى أن ينظر المسـلمون الاولون الى أن فى قريش نفرا من أهلهم وعشـيرتهم ، هنا يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم للمسلمين : ان لهم أسوة حسنة فى إبراهيم :

« قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »

سورة الممتحنة آية ٤ مدنية

والفكرة هنا هى عبادة الواحد القهار وترك عبادة الأصنـام واستثنى أن يستغفر ابراهيم لأبيـه ، أى فليس للمسلمين أن يتخذوه أسوة فى ذلك فهم لا يملكون للمشركين من الله ومن عذابه وثوابه شيئا

••●••

استغفار ابراهيم :

ونجد الحديث عن ابراهيم وأبيه وقومه ومطالبتهم بعدم عبادة الاصنام وطلب الاب من ابراهيم أن يهجره مليا والا رجمه ما دام راغبا عن آلهته ، ونجد اعتزال ابراهيم واستغفاره لابيه فى سورة مريم من الآية (٤١) الى غاية الآية (٥٠) مكيـة ، والمسألة

كلها فى استغار ابراهيم لأبيه سورة مريم آية ٤٧ : « قال سلامٌ عليك سأستغفرُ لك ربي إنه كان بي حَفِيًّا » : أى سلام عليك منى لا أصيبك بمكروه وسأستغفر لك ربى ، ان ربى بار بى فيجيب دعائى ·

وقد استغفر ابراهيم لأبيه قبل أن يعرف أنه عدو الله ، فلما عرف اعتزله وقومه وما يعبدون من دون الله ، وسيعبد ربه عسى ألا يكون بعبادته شقيا كما شقوا هم بعبادة الأصنام ؛ « وما كان استغفارُ ابراهيمَ لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدَها إياه فلما تبينَ له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه إن ابراهيمَ لأواهٌ حليم » — التوبة آية ١١٤ ، مدنية : الاستغفار اذن جاء عن وعد قطعه ابراهيم عليه السلام على نفسه لأبيه ، وكان ابراهيم فى الواقع يرجو أن يسلم أبوه فلما تبين له أنه مات على الكفر تبرأ منه وترك الاستغفار له

ولم يتعاون ابراهيم وأبوه الذى يحبه ولا عشيرته وقومه وترك مقامه بينهم الى المنفى فى صحبة زوجته ولوط وأتباعه حتى عاد إلى مكة مع ابنه اسماعيل ليبنى الكعبة : « والمسجدِ الحرامِ الذى جعلناه للناس سواء العاكفُ فيه والبادِ » سورة الحج آية ٢٥ ، أى الذى جعل منسكا ومتعبدا للناس سواء المقيم فيه والطارىء ، وليجعل مكة دار السلام ·

التشريع :

وكان هذا تحديدا لتشريع جاء به القرآن لعدم العنف والتعاون ، تشريع قام منذ فجر الاسلام وسيبقى مابقيت الايام ·
وعلى أساس هذا التشريع قامت فتوى العلماء المسلمين فى الهند سنة ١٩٢٠ ، هذه الفتوى التى اعتبرت برنامجا للعمل المباشر ضد الحكومة البريطانية المستعمرة ، الفتوى التى نظمت كفاح المسلمين فى شبه القارة الهندية من أجل استقلال الهند لمعاونة

الكفاح التاريخى تحت زعامة غاندى الذى دعا هو أيضا لعدم العنف وعدم التعاون ٠

وفى أيام « عدم التعاون » فى الهند تولت سيدة مسلمة كريمة هى والدة الزعيمين المسلمين شوكت على ومحمد على ، تولت قيادة الكفاح وهى تقول: لو أن ولديها انحرفا عن جادة الصواب لأخذت بخناقيهما بيديها حتى يلفظا أنفاسهما الأخيرة ٠

وكان عدم التعاون فى شبه القارة الهندية هو الجهاد الذى قضى على التحالف الصليبى الذى عقده لويد جورج وكليمانصو للعمل ضد الاسلام، وضد الشرق ٠

والجهاد فى سبيل الله على ما جاء فى (فتح البـــارى) خمس درجات :

* التضحية بالرأى
* التضحية بالكلام
* التضحية بالفعل
* التضحية بالنقود أى بالمال
* التضحية بأعضاء الجسم والحياة ٠

ومن يعاون فى سبيل الله برأيه ومشورته ، ومن يعاون بنشر الدعوة ، ومن يعاون بالعمل ، ومن يعاون بالمال والحياة ، فكــل هذا جهاد فى سبيل الله ماذام الهدف واضح القصد متمشيا مع الغرض ، يقول العلامة عبدالله بن يوسف على فى كتابه « القرآن الكريم » بالانجليزية :

« ان مجرد القتال للقتال ليعارض روح الجهاد » ٠

ولكن هذه الدرجات الخمس التى قدمها صاحب «فتح البارى» تختلف وتتباين فى الدرجة والمكانة ، ولقد جاء التفسير الصحيح لهذا التباين فى سورة الأنفال آية ٢٠ مدينة :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ »

(أى أن الذين جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله من غيرهم ، وأولئك هم الذين يظفرون بالخير ، وحديث الماضى ينصرف الى الحاضر وينصرف الى المستقبل ما دام الفعل جهادا فى سبيل الله واجبا لنصرة قضية الجماعة وقضية الوطن والعباد) .

حديث عن القتال والسلم .. والدفاع عن الوطن

* الاسـلام والقتـال
* الاذن بالقتال مع فرض تحديدات منظمة
* من يقاتل ... كيف يقاتل ... متى يقاتل ؟
* الأوامر لقادة الجند
* السلم والمصالحة
* الطابع الروحي للقتال
* الاعتداء على المسلمين
* النصر من عند الله
* فرض الدفاع عن الوطن
* مظهر الشورى فى الاسلام حتى فى القتال
* ديموقراطية الشورى فى الاسلام

أضيفت فى هـذا الفصـل بعض دراسـات
من قلم المترجم ، فقـد تركهـا المؤلف
أو لم يعرضـها فى حديثـه بالقـدر
الكـافى الذى تسـتحقه ،.وكان من
الضرورى الاشـارة الى هـذا
هنـا حتى لا يحتمـل المؤلف الصـديق
مولانا محمـد طيب الله مسـئولية
حـديث ليس له وان كان السرد يتطلبـه

الاسلام والحرب

يقول فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه « من توجيهات الاسلام » ص٢٢٥ : « الاسلام دين الحجة والبرهان، دين الامن والسلام ، دين التعاون والتآخى ، دون التعمير والبناء ، وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلا الى هدفه ، وهو اقرار الحق فى نصابه ، وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية ، وثمار العدل والمساواة ، فاذا ما التوت بالعقول السبل واختلس الانسان من سكان الكهوف والمغاور أخلاقهم وطيشهم فعبث بالحياة وأراق الدماء ، وسخر الضعفاء ، وتحكم بجبروته فى الحقوق ، وانقض على الهادئين فزلزل عليهم امنهم ، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم ، وانتزع منهم أوطانهم ، وفتنهم فى دينهم ودنياهم ـ

فهنا وهنا فقط ـ حفظا لعرض الانسانية أن يثلم ، ولحكمة الله فى خلق الانسان أن تذهب ـ لا يجد بدا من ارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال فيأذن بها لأهله حتى يرد أهل البغى والفساد وليحترموا حقوق الانسانية المكرمة :

« وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ، وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فضلٍ عَلَى العالَمِينَ » — البقرة آية ٢٥١ مدنية

●●●

وهكذا يرى أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الازهر أن الاسلام هو دين عملى واقعى ما كان له ان يتجاهل سنة الاجتماع البشرى ويتغافل عنها ، سنة الاجتماع البشرى التى كثيرا ما يندفع الناس بها الى التنازع وارتكاب المظالم ، والتنكر للحق والاعتداء على

الحريات ، وعلى هذا اعترف الاسلام بالحرب ، واتخذها وسيلة عملية حيث لا تنفع الحجة والبرهان ، وسيلة لمكافحة البغى ورد العدوان ، والقضاء على الطغيان :

« فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إلاَّ نفسَكَ وحرِّضِ المؤمنينَ عَسَى اللهُ أنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا » النساء آية ٨٤ مدنية ، « فَإنْ لَمْ يَعْتزِلوكُمْ وَيُلقُوا إلَيْكمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفتُمُوهُمْ وأولئِكمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبيناً » — النساء آية ٩١ مدنية

فالاسلام اذن يقر الحرب ويدعو اليها وسيلة لاقامة العدل ، ويحوطها بالتشريع الذى يحقق هدفها (اخضاع قوى الشر والفساد) ، والذى من شأنه فى الوقت نفسه ان يخفف من ويلاتها ويضمد من جراحها .

الاسلام والقتال :

والواقع أنه لاتبدو أصالة طابع « عدم العنف » فى الاسلام فى الصورة الصحيحة الا عندما نناقش حديث القرآن الكريم عن « القتال » وعن « السلم » ، وعندما نتفهم الأصول التى رسمها القرآن الكريم للقتال تبعا للاذن به مع النص على عدم الاعتداء ، ومن فرض التأهب لملاقاة العدو مع ملاقاته زحفا ، ومن ضرورة اعداد القوة اللازمة للدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن ، ومع ايضاح من الذى تجب مقاتلتهم ، ثم تصوير كيف يسير القتال ، وماذا يحدث فيه وتحديد الأصول الصحيحة للحرب .

(فالحرب جاءت صورة مستحدثة فى حياة المسلمين الاولين ، ومن تم كان من الضرورى أن ينسوا ما عرفوه من القتال فى الجاهلية وأن توصف لهم الصورة الصحيحة التى تتفق مع تعاليم الدين الجديد ، فاذا جازت « المفاجأة » فلا يجوز « الاتلاف والتخريب » ، واذا جاز « قتل العدو » فلا يجوز « الاسراف فى سفك الدماء » ، واذا جاز « الامساك بالأسرى » جاز « الفداء » أو « الاطلاق ابتغاء مرضاة الله » ، ولايجوز « الاسترقاق والاستعباد » واذا جازت « المقابلة بالمثل » وجب اتباع المعنى الحرفى لكلمة « المثل » فلا اسراف فى الاقتصاص ، فاذا ما جنح العدو للسلم وجب الكف عن القتال ، كماجاء النص على ضرورة الوفاء بالعهد) .

والطابع البارز فى الآيات الدالة على ذلك وفى أوامر الرسول وخلفائه لقادة الجند ـ هو « عدم الاعتداء » فان الله لايحب المعتدين والله فى جانب المتقين .

وقد يكون من الأصلح ان نسجل هذه الآيات البينات التى جاءت فى القرآن الكريم عن « القتال فى الاسلام » ، هذه الآيات التى رسمت للنبى عليه الصلاة والسلام :

* من يقاتل ؟
* كيف يقاتل ؟
* ثم ماذا يكون بين المسلمين وأعدائهم اذا ماجنحوا للسلم ؟

فهرس الآيات الكريمة فى (الاسلام والقتال) :

الآيات البينات فى القرآن الكريم التى ذكر فيها القتال فى سبيل الله لنصرة دينه ونبيه والتى نظمت تشريع القتال فى الاسلام ، كما تحدثت عن نصيب جند المسلمين الأولين ، أولئك الذين قاتلوا فقتلوا محتسبين مقبلين غير مدبرين هى :

البقرة : أول سورة نزلت بالمدينة ، جزء ١و٢و٣ ، وكلها مدنية
إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع
الآيات ١٥٤ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٣ و ١٩٤ و ٢١٦
و ٢١٧ و ٢٤٤ و ٢٤٦

آل عمران : ثالثة السور التى نزلت بالمدينة ، جزء ٣و٤ ، وكلها مدنية
الآيات ١٣ و ١٤٦ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧
و ١٥٨ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٣ و ١٩٥

النساء : سادسة السور التى نزلت بالمدينة نزلت بعد (الممتحنة)
جزء ٤ و ٥ و ٦ وكلها مدنية
الآيات ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٨٤ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١
و ٩٤ و ٩٥ و ١٠٢

الأنفال : جزء ٩ و ١٠ ، كلها مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية
آية ٣٦ فمكية ، نزلت بعد (البقرة) أى أنها ثانية
السور التى نزلت بالمدينة
الآيات ١٥و١٦ و١٧ و٤٠ و٤٥ و٦٠ و٦٥ و٦٦ و٦٧

التوبة : نزلت بعد المائدة ، جزء ١٠ ، كلها مدنية إلا الآيتين
١٢٨ و ١٢٩
آيات القتال بها ٥ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ٢٤ و ٢٥

و٢٦ و ٢٩ و ٣٦ و ٣٨ و٤١ و٨١ و٨٣ و١١١ و ١٢٣.

الحج : نزلت بعد (النور) ، جزء ١٧ وكلها مدنية إلا الآيات من ٥٢ إلى ٥٥

جاء ذكر القتال فى الآية ٣٩ وحدها

الأحزاب : رابعة سور المدينـة ، نزلت بعد آل عمران ، جزء ٢١ وكلها مدنية

آيات القتال : ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧

الفتح : نزلت بعد (الجمعة) فى الطريق عنـد الانصراف من (الحديبية) ، جزء ٢٦ ، وكلها مدنية

آية القتال : ٢٢

الحجرات : نزلت بعد (المجادلة) ، جزء ٢١ مدنية

آية القتال : ٩

الحديد : نزلت بعد (الزلزلة) جزء ٢٧ مدنية

آية القتال : ١٠

الحشر : نزلت بعد (البينة) ، جزء ٢٨ مدنية

آيات القتال ١١ و ١٢ و ١٤

الصف : نزلت بعد (التغابن) ، جزء ٢٨ مدنية

آية القتال : ٤

المزمل . . : نزلت بعد (القلم) ، جزء ٢٩ مكية إلا الآيات ١٠
و١١ و ٢٠
آية القتال : الآية ٢٠

•••••

الاذن بالقتال مع فرض تحديدات منظمة له لاتجعله مطلقا

وقد جاء الاذن بالقتال فى سورة « الحج » آية ٣٩ مدنية :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » : أى أذن للمؤمنين الذين يعتدى عليهم المشركون أن يقاتلوا بسبب أنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقادر

وقد فرض الاسلام عددا من الأصول التى تحدد من اتجاهات القتال وطوابعه ففى سورة « البقرة » الآية ١٩٠ مدنية

« وقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِين يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ »

وهنا نجد الأمر للمسلمين بقتال من يقاتلونهم ولكن يجب ألا يعتدوا على أحد لأن الله لا يحب المعتدين .. ولكن هل يقاتلون عند « المسجد الحرام » ؟ هنا نجد فى القرآن الكريم الاجابة.آية ١٩١ مدنية من « البقرة » :

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين »

أى قاتلوهم حيث وجدتموهم ، والشرك أعظم من قتلهم فى الحرم أو الاحرام ولكن لا تقاتلوهم فى الحرم حتى يقاتلوكم فيه، فالاذن بالقتال فيالمسجد الحرام جاء مشروطا بأن يقاتل المشركون عنده ، ثم ماذا ؟ بآيتى ١٩٣ و ١٩٤ من سورة البقرة :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »

أى قاتلوهم حتى لاتوجد فتنة أىشرك وتكون العبادة لله وحده ولاحظوا أن الحرمات قصاص أى تقتص بمثلها اذا انتهكت فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أى مقابلة الاعتداء باعتداء مماثل.

وقد نزلت هذا الآيات البينات فى صلح « الحديبية » لما صد

المشركون النبى صلى الله عليه وسلم عن البيت الحرام وصالحوه على أن يرجع فى عامه المقبل ويخلوا مكة ثلاثة أيام للنسك والطواف

ويؤخذ من الآيات التى فى « البقرة » ١٩٠ ـ ١٩٤ :

١ ـ أن القتال فى سبيل الله كان لرد العدوان ولحماية الدعوة وحرية الدين

٢ ـ شرع القتال الدفاعى لا الهجومى مع عدم الاعتداء على غير المقاتلين

٣ ـ ظاهر هذه الآيات وغيرها فى القرآن أن القتال لم يكن لاكراه الناس على الدخول فى الدين « لا إِكراهَ فى الدِّينِ »

●●●●●

وكان اذن الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم بالقتال من أجل دين الله وفى سبيله بداية عهد جديد فى التاريخ الاسلامى ، بل مسئولية جديدة للنبى ومن يجيئون بعده مافى هذا من شك . يقول ابن خلدون فى « مقدمته » :

« والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة ، وحمل الكافة على دين الاسلام اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها اليهما معا »

واذن فقد كتب على محمد القتال على شريطة الا يبدأ أناسا

بالاعتداء والقتال ، كتب عليه القتال وهو كاره ، وما عليـــه فى هذا الـكره من بأس ، وان كان لزاما عليـــه أن ينفذ الأمر « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » — سورة الحجر آية ٩٤ مكية ، وليس هذا فحسب ، بل « واللهُ يَعْلَمُ وأنتمْ لا تعلمُونَ » البقرة آية ٢١٦ مدنية

يقول صاحب « التفسير الواضح » فى ج ٢ ص ٤٠ :

« كُتِبَ عَلَيْـكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَـكُمْ وَعَسَى أَنْ تَـكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَـكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَـكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ » البقرة ٢١٦

فالقتال مكروه لانكم تخـــافون ان دارت رحى الحـرب بينكم وبينهم أنْ يفتك القتال بكم وأنتم الطائفة القليلة العدد التى تحمل لواء العدل والحق فى هـــذه الجزيرة ، وقيل فى تعليل كراهية المسلمين للقتال ان الاسلام أوجد فى قلوبهم رأفة ورحمة وروحانية تبغض القتال

○○●●●

من يقاتل ؟ ••• وكيف يقاتل ؟ •• ومتى يقاتل ؟

وقد كان من الواضح أن الاذن بالقتـال جاء لقتـــال المشركين الذين يصدون عن سبيل الله فهم : « وَلا يَزَالُونَ يُقاتِلونَـكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكم عن دينِـكم إن اسْتَطَاعُوا » البقرة آية ٢١٧ مدنية

وصحب الإذن بالقتال فى سبيل الله ، الحث على القتال :

« فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً »

سورة النساء ـ آية ٨٤ مدينة و « حرض » التحريض الحث على الشيء بتزيينه والترغيب فيه

ونص القرآن على الثبات فى مواجهة العدو ، ولقائه زحفا وأمر المسلمين بألا يولوا المشركين ظهورهم :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . . . »

« الأنفال » آية ١٥ مدنية

ولم يكن من قانون مسطور لمواقيت القتال والحرب ماعدا عدم اجازة اراقة الدماء فى الأشهر الحرام ، وكان لزاما أن يتبع المسلمون تقاليد الجاهلية الأولى من ناحية مواعيد القتال والحرب فلما كانت سرية عبد الله بن جحش الى « نخلة » بين مكة والطائف وفى الايام الأخيرة من رجب فى العام الثانى للهجرة وسقط عبد الله ومن معه على عيرلقريش فقتلوا أحد حراسها وأسروا اثنين وغنموا العير بما فيها تاركين من استطاعوا النجاة ليفروا الى قريش بمكة ليملئوا الدنيا صياحا بأن المسلمين قد قتلوا وأسروا وغنموا الأموال فى ختام الشهر الحرام ـ لم يرتح النبى لهذا

فقد بعث عبدالله بن جحش أصبلا ليتقصى أخبار قريش ، وما أمره أن يقتل أو يأسر أحدا فى الشهر الحرام وقد حاول بعض أن يقولوا ان قريشا قد زعمت ظلما أنالقتال كان فى ختام رجب مع أنه كان فى غرة شعبان ، ولكن كانت كلمة الله هى العليا فنزلت الآية الكريمة :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ »

« البقرة ــ آية ٢١٧ مدنية »

فكان هذا اذن التشريع بالقتال الذى يقول : ان الصـــد عن الدين والفتنة أشد من القتل ، وأكبر عند الله ، حتى لو كان هذا القتال فى الشهر الحرام ، فكان هــذا التشريع ايذانا للمسلمين بالقتال فى سبيل الله فى كل وقت وفى كل مكان دون ما اعتــداء ولا عدوان على أحد .

فالاذن بالقتال اذن صحب فقط بالنص على عدم الاعتداء : « وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » البقرة آية ١٩٠ ، أى أن قتال المسلمين لمن يقاتلونهم جاء محددا مشروطا ولم يطلق اطلاقا كاملا ، وذلك لتأكيد عدم الاعتداء .

الأوامر لقادة الجند :

وأوصى النبى قادة جنده بالثبات فى القتال والصبر

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ »

الانفال آيتا ١٥ و ١٦ المدنيتان

ولكنه فى الوقت نفسه أوصاهم بالترفق بالضعفاء وألا يقطعوا شجرة مثمرة وألا يهدموا جدارا قائما

وقد يقال : ان محمدا عليه الصلاة والسلام أوصى بهذا لأنه كان يرسل البعوث والجيوش لقتال أقوام من العرب من أهل الجزيرةالعربية مهما كان مقامهمومظعنهم ، ولكن هاهو ذا أبوبكر رضى الله عنه يوجه الجيش الى الشمال فيوصى قادة جنده قائلا :

« تذكروا دائما أنكم فى حضرة الله سبحانه وتعالى ، فاذا ما قابلتم العدو فاثبتوا وشدوا عليه ولا تولوه ظهوركم ، ولا تدعوا نصركم يتخضب بدماء النساء والأطفال ، لاتقطعوا نخلة ، ولا تحرقوا حقل قمح ، ولا تقتلعوا شجرة مثمرة ، ولا تغتصبوا ماشية فاذا ماعاهدتم فأوفوا بعهدكم »

وحديث أبى بكر الصديق جاء عن التخطيط الذى رسمه النبى عليه الصلاة والسلام للجند يوم أن سير جنده الى الشام وقد خرج فيهم خالد بن الوليد متطوعا للقتال ، وفى هذا التخطيط رسم النبى دستورا هو أساس حقوق غير المحاربين من الشيوخ

والأطفال والعزل من السلاح ؛ فقد أوصى النبي المسلمين ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ، وألا يهدموا المنازل وألا يقطعوا الأشجار .

ورسم النبي الكريم في هذه السطور ما صورته دول أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين في عدة مؤتمرات ، ثم لم تتبع ما انتهت اليه من تعهدات ، حتى الدول التي وقعت هذه التعهدات .

○●●●●

السلم والمصالحة :

على أن هذا كله يقف عندما ينتهي الأمر الى السلم والمسالمة ، ففي الانفال آية ٦١ مدنية :

« وإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

أى إن جنحوا للصلح فاترك القتال وعاهدهم على السلم

وفى البقرة آية ١٩٢ مدنية : « فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وجاء فى الأنفال الآية ٣٨ مدنية :

« قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ »

والأصل فى الحديث هنا عن أبى سفيان وغيره ، ولكن اذا تركنا التخصيص فى توجيه الحديث جانبا ونظرنا للأمر من ناحية عامة ناحية القتال ضد قريش ، وجدنا ، الآية الكريمة تعنى أنه اذا ما انتهى الكفار من الشرك والكفر وعن قتال (النبى) والمسلمين غفر الله لهم ـ أى للكفار ـ ما سلف من أعمالهم ، فان عادوا الى مثله أى عادوا للقتال فقد مضت سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم ، ولن يكسب الكافرون المعتدون :

١ « وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ » الأنفال آية ٥٩ مدنية : أى أنهم يجب ألا يظنوا أنهم سبقوا الله (فاتوه) فإنهم لا يفوتونه أبداً

●●●●●

والذى يجب أن نلاحظه هنا هو الميل الى المصالحة ، وأقرب الأمثلة لهذا ماتم فى صلح الحديبية بعد أن بايع المسلمون النبى على مناجزة قريش فى « بيعة الرضوان » ورضى النبى مهادنة قريش لعشر سنوات قادمة ، وكان هذا الصلح فتحا عظيما :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً . » سورة الفتح الآيات ١ ــ ٣ مدنية

●●●●●

وكان المسلمون دائما أوفياء لما عاهدوا عليه ، ففى (فدك) صالح اليهود النبى على نصف أموالهم بلا قتال فقبل

وفى خيبر بعد أن هزم اليهود صالحوا النبى على ما يأمر به ، فتركهم النبى فى أرضهم يزرعونها عمالا لمسلمى المدينة لهم نصف الثمار أجرا على ما يبذلون من جهد ، وللمسلمين النصف الآخر بحكم تملكهم للأرض بالفتح ٠

وفى طريق عودة النبى من خيبر الى المدينة عن طريق وادى القرى قاتل المسلمون ــ الضاربين فيه يوما واحدا وقيل خمسة أيام ، وعلى أية حال انتهى القتال بقبول اليهود دفع الجزية ٠

وسمع يهود (تيماء) بما حدث فى فدك وخيبر ووادى القرى فصالحوا النبى على الجزية ، « وكان النبى والمسلمون دائما عند كل عهد قطعوه ينفذون كل صلح قبلوه ، ولم ينقضوا عهدا ولم يتنكروا لصلح » (١٣) ٠

الطابع الروحى للقتال :

على أننا يجب أن نلاحظ هنا الطابع الروحى فى القتال الذى هو اذعان لمشيئة الله : « فَلْيُقَاتِلْ فى سبيلِ اللهِ » النساء آية ٧٤ مدنية ، والاذعان لمشيئة الله يبعث بالطمأنينة الى النفوس ، وهذا وايم الله هو جوهر الاسلام ٠

---

(١٣) ص ٧١ ــ « محمد القائد » لمحمد عبد الفتاح ابراهيم طبع شركة مصطفى البابى الحلبى القاهرة سنة ١٣٦٤ هجرية ــ ١٩٤٥ ميلادية ٠

والاذن بالقتال معناه الاذن باستعمال القوة ولكنه اذن لا يبيح العنف أو المغالاة فى استعمال القوة .

وهنا يبرز المبدأ لذى جاء به الاسلام ، مبدأ مقاومة الشر بالخير الذى هو اسمى المبادىء ، وقد احتاط الاسلام للامر بمقاومة الشر ومكافحته فنص على ألا يكون دفع الشر سببا للتنكب فيما هو أدهى وأمر ، فلا يتحول العدل الى انتقام ، ولا يجوز الاعتداء ولا الاسراف فى سفك الدماء ، ولهذا حدد الاسلام مقاومة الشر :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا » الحج آية ٣٩ ، وفى : « وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » البقرة آية ١٩٠ .

ورسم القرآن هذه المقاومة لمجرد التغلب على الشر والقضاء عليه لا للانتقام وأن يتم هذا فى حدود العدل والانصاف ، فقد جاءت الآية الكريمة :

« وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » النحل آية ١٢٦

والصفح والغفران أسمى من الانتقام ، وقد قضى الاسلام بالكف عن معاقبة المذنب واضطهاده لحظة أن يعلن توبته وجنوحه للسلم .

الاعتداء على المسلمين :

على ان الحديث عن « الاعتداء على المسلمين » يتطلب تصويرا واضحا وبخاصة فى هذا القرن الذى نعيش فيه ، عصر التكتلات السياسية والعسكرية ، العصر الذى عرف الحرب الأممية الشاملة .

وقد أحسن أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر بقوله فى وصف الاعتداء والطغيان :

« فعبث بالحياة ، وأراق الدماء ، وسخر الضعفاء ، وتحكم بجبروته فى الحقوق ، وانقض على الهادئين فزلزل عليهم أمنهم ، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم ، وانتزع منهم أوطانهم ، وفتنهم فى دينهم ودنياهم .. »

هذه صورة الاعتداء وهى صورة يمكن الخروج بها من التعميم الى التخصيص ، فنحن اليوم نجد بيننا من عبث بحياتهم وأريقت دماؤهم وتحكم العدو بجبروته فى حقوقهم ، وانقض على الهادئين فزلزل عليهم أمنهم وعلى المالكين فاغتصب أرضهم ودورهم وطردهم من وطنهم ، واحتجز منهم من فتنهم فى دينهم ودنياهم :

هذا العدو الباغى من واجب المسلمين عامة قتاله احقاقا للحق وردا لبغيه ولارغامه على احترام حقوق الانسانية المكرمة .

●●●●●

النصر من عند الله :

على أنه قد حق على الله نصر المؤمنين ، والله يقتل الكافرين المعتدين وإن كان يجعل المسلمين وسيلة لهذا : ففى الأنفال آية ١٧ مدنية :

« فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »

وقد نزلت الآية الكريمة فى الحديث عن معركة « بدر » ، فلم يقتل المسلمون كفار قريش بقوتهم ، بل قتلهم الله بنصره للمسلمين ، (وما رميت يا محمد أعين النـاس إذ رميت بالحصى) لأن كفا من الحصى لا تملأ عيون الجيش الكبير برمية بشر ، ولكن الله رمى بإيصال ذلك إليهم ، وقد فعل الله ذلك ليقهر الكافرين وليبلى المؤمنين منه عطاء حسناً هو الغنيمة « إن الله سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم »

وفى « بهاجوات جيتا » BHAGWAT GITA « الدفاع عن الوطن الام » نجد النص على أن الله هو الذى يقهر المعتدين :

Mayaivaita nibatah purvameva
nimitta matram bhava Sovyaschin.

أى هل لاحظت « ياسافياساشن » أنك قبل أن تخوض غمار الحرب هزم أعداؤك ودمروا بأمر الله ولم تكن أنت أكثر من وسيلة لقتلهم .

معاملة الاسرى :

على أن الحديث عن القتال فى الاسلام يتطلب منا مزيدا فى الحديث عن « معاملة الاسرى ، » وهنا نجد صورة فذة من صور الحديث عن « القتال فى الاسلام » : فمن الأسرى ؟

« يقول « المختار » للشيخ الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : « الأسير » : الاخيذ وان لم يشد بالقيد ، ويقول معجم ويبستر بالانجليزية : الأسير هو من يمسك به فى قتال :

فالفكرة اذن هى أن الاسرى هم الذين يمسك بهم أثناء قتال قائم اما مستسلمين طلبا للنجاة واما اضطرارا لعجزهم عن متابعة القتال .

فماذا هى الصـــورة التى يجب ان يعـــامل أسرى المســلمين تبعا لها ؟

يقول القرآن الكريم فى سورة الأنفال آية ٧٠ مدينة :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

(أى قل ، لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء فيعوضكم عنه فى الدنيا ويثيبكم فى الآخرى ويغفر لكم والله غفور رحيم ، والمعنى هنا التعويض المادى فى الدنيا والمثوبة فى الآخرى لمن يعلم الله أن فى قلوبهم ايمانا وخيرا ، ولكننا نجد التحديد الواضح لأسس المعاملة بين أمرين فاما منا ، واما فداء ، ففى سورة « محمد » آية ٤ مدينة :

« . . . حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ . . . »

(أى شدوا وثاقهم واما أن تطلقوهم من غير شىء واما أن تفادوهم بمال أو بأسرى مسلمين حتى يقنع أهل الحرب أمثالهم بالسلام ، ولو يشاء الله لانتصر منهم بغير قتال ولكن أمركم به ليبلو بعضكم ببعض منهم فى القتال فيصير من قتل منكم الى الجنة ومن قتل منهم الى النار).

وقد اتبع المسلمون النص ، النص بالأخذ فى قتال قائم أو الاستسلام اضطرارا للعجز عن متابعة القتال ، ولهذا فعند خروج المسلمين الى مكة عام صلح « الحديبية » بقى محمد عليه الصلاة والسلام بالمسلمين خارج مكة على مشارفها ، وكثر الانتقال بين معسكر المسلمين ومعسكر قريش فى قلب مكة ، ولم ينجح رجال قريش فى مفاجأة المسلمين قط ، حتى ان من حاولوا الاقتراب من معسكر المسلمين أسروا ، ولكن المسلمين لم يجيئوا للحرب ولهذا أطلق النبى سراح الأسرى .

وفى مكة بعد الفتح ، سلمت مكة للمسلمين وفعل النبى فى أهل مكة ماقالوه هم ، قالوا :

« خَيْراً ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ » فحق لهم أن يذهبوا وهم الطلقاء . وحقت كلمة الله . . .

« لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ ، لاَ شَرِيكَ »
« لَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، »
« وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وحْـــــدَهُ »

فـرض الدفاع عن الوطن :

وقد نص القرآن على حق الدفاع عن النفس والوطن والتأهب دائما للدفاع عنهما ، بل ان هذا الدفاع واعداد القوة اللازمةواجب شرعا على المسلمين : ففى سورة الأنفال آية ٦٠ مدينة :

« وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَـــدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ »

(أى يوفى اليكم جزاؤكم ولا تنقصون منه شيئا)

فحب الوطن ، والدفاع عن الوطن ، ومعتقدات الاسلام تجتمع كلها فى عقد واحد لا انفصام بينها ، يقول هانزكوهن فى كتابه « تاريخ القومية فى الشرق » : « والاســـلام بالنسبه للمسلمين ليس بدين فحسب ، بل هو الدولة وهو تنظيمهم الاقتصــادى ، وهو خبز يومهم ، وفى ايجاز هو كل شىء لهم »

وفى الحديث الصحيح « حبُّ الوطنِ من الايمان » ، فالدولة والدين لا ينفصلان فى الاسلام والتصوير الذى صــوره هانزكوهن للاسلام بالنسبة للمسلمين كتبه المفكر العظيم السير ســـوامى فيفيكانندا عن « القومية فى الهند » ، فقال :

« ان المعنى الروحى للقومية فى الهند غير مفهوم ولا معروف فى الغرب ، وما لم يحقق الغرب روحانيةُ قومَيته فانه سيسير تدريجا نحو الانهيار » .

والواقع أن (راما شاندرا) و (أبا بكر) ، و (هاريشساندرا) و (عمر) و (فيكرماديتيــا) و (أكبر) و (كارنا) و (هارون الرشيد) لهم جميعا بعض الرموز التاريخية للقومية الروحية فى الشرق وفى الاسلام ، ولم يعرف منطق الواقع ذاك الذى يتحدث عن فصل الدولة عن الدين ، بل هو فى الواقع ينقل فى تخبط غير المبصر ما يتبعه الغرب ، ثم انه لأبعد من هذا لا يفهم ماذا هو الدين .

يقول الشــــاعر العظيم اقبال فى الحديث عن الوطنية وعن الاخوة بين البشر التى دعا لها القرآن الكريم :

cheeo Arab hamata, Himdustanhamara
Muslim hain ham Watan hai Sare Jehan hamarta

أى : « الصين وبلاد العرب بلادنا ، وهندستان بلادنا ، فالكل مسلمون أولئك الذين يعملون للسلام ، كلهم أبناء الوطن المشترك: والدنيا كلها بلادنا » .

فحرية الوطن والدفاع عن الوطن الحـر من الضروريات التى فرضها الاسلام ونظام الحكم الاسلامى ، وقد فرض القرآن على المسلمين الجهاد من أجل الوطن ، فهو جهاد فى سبيل الله .

مظهر الشورى فى الاسلام حتى فى القتال :

وقد عرف المسلمون «الشورى» منذ فجر الاسلام ، «وأمرُهم شُورَىٰ بينَهم » سورة الشورى آية ٣٧ مدنية

ويقدم لنا تاريخ المسلمين الأولين فى القتال ضد الفئة الباغية عدة صـور للشـورى فى الحرب : ففى « بدر الـكبرى » خرج المسلمون يطلبون عيرا عليها أبو سفيان فوجدوا قريشـا كلها قد خرجت للدفاع عن العير ولقتال المسلمين ، وكان الموقف قد تغير ؛ وكانت قريش أكثر قوة ، وتشاور المسلمون فأجمعوا رأيهم على الحرب وقتـال قريش سواء أدركوا العير أو فاتتهم ، وسـار المسلمون حتى وصلوا أدنى ماء لبدر من المدينـة فأمر النبى بالوقوف فجاءه الحبـاب بن المنذر وكان خبـيرا بالحرب فسأل النبى : « أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ، أم هوَ الرأى والحرب والمكيدة ؟ »

فلما قال النبى : بل هو الرأى والحرب والمكيـدة ، أشـار الحباب بن المنذر بالتقدم حتى ينزل أدنى ماء من قريش ليضمن توافر الماء فى مسرح معركته مهاجما أو مرتدا ، والذين قاتلوا فى

الصحراء يعرفون دور الماء فى الحرب

وفى (أحد) كان من الممكن أن ترتبط المدينـة بعضها ببعض بالبناء حتى تكون كالحصن ثم يجتمع النساء والأطفال فى الصياصى (الحصون) لرمى العدو بالأحجار ، ويقاتل الرجال فى الطرقات لرد من يستطيع التسرب فوق البنيان الذى يحيط بالمدينة ولكن هذا القتال الدفاعى يضعف روح المسلمين المعنوية ، كما أنه يزيد روح قريش قوة وجرأة ، فاذا ظل المسلمون فى المدينـة قالت قريش لقد حصرنا محمدا ورجاله فى عقر دورهم .

وانتهت الشـورى بضرورة الخروج لملاقاة قريش ، ومهمـا كانت قوة قريش فى العدد فان المسلمين أقوى فى الروح المعنوى ، ثم ان المسلمين على مقربة من ديارهم يذودون عن عرضهـم وعن حريمهم (١٤) ثم هم أقوى اليوم مما كانوا يوم بدر ، وقد نالوا نصرا كبيرا يوم بدر فلم لا ينتصرون أيضا يوم أحد ؟

وقد كان ، وخرج المسلمون ، ورضى محمد بالشورى ما دام الله لم يأمره بالبقاء

وفى معركة « الأحزاب » كانت مشورة سلمان الفارسى ورأيه أن يعتصم المسلمون فى المدينة فترتبط الأبنيـة بعضها ببعض ويجعل بينه وبين جند الأحزاب سدا لايجازونه ، ولا يستطيعون اجتيازه لو أرادوا ، فمالهم فى هـذا حيلة ، وكانت جملة رأى سلمان الفارسى أن يحفر خندقا عميقا لاتعبره المشـاة ولا تقطعه الخيل وثبا

---

(١٤) العرض : الوادى ذو الشجر ، والحريم : الأرض التى تحيط بالبئر

وكانت هى الحرب والمكيدة ، وراح المسلمون يضربون الأرض حيث أراد النبى فحفروا الخندق من طرف الحفرة الشرقية الى طرف الحفرة الغربية فكان دفاع من جميع الجهات

وهكذا ، وهكذا تتوالى الصور التى تقدم لنا حرص النبى عليه الصلاة والسلام على مشاورة المسلمين فى التخطيط للحرب مادام الأمر لم يجىء من عند الله ، وما دامت هى الحرب والمكيدة

•••••

على أن القتال فى « أحـــد » يتطلب بعض اضافات مشارها الشورى : فقد أشار الشيوخ ومعهم عبد الله أبى زعيم المنافقين ورأس اليهود بالمدينة أن يبقى المسلمون بالمدينة وأن يحصنوها، وأما الشباب ومن لم يكن له شرف القتـــال فى بدر فقد أشاروا بالخروج ، ومع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يميل الى رأى الشيوخ فانه رجع لرأى الأغلبية القائلين بالحرب والساعين اليها فلبس وتجهز وما قبل الرجوع بعد هذا (ماكان لنبى اذا لبس لامته أن يرجع)

وكان هذا عصر الجمعة لست مضت من شـــوال وفى سحر السبت خرج المسلمون وفى الطريق رجع عبـد الله بن أبى متعللا بقوله : أيعصينى ويطيـع الولدان (لو نعلم قتالا لاتبعنـاكم) ـ رجع ومعه ثلاثمائة من أصحابه ، وهم بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار ألا يخرجوا الى أحد ، ثم وفقهم الله فخرجوا ، ولم يبق مع رسول الله بعد رجوع المنافقين الا سبعمائة رجل

ونزل من القـرآن فى موقعـة أحد الآيات من ١٢١ الى ١٢٧ مدنية من سورة « آل عمران » :

« وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ »

(أى واذكر يامحمد وقت أن خرجت تبوىء المؤمنين وتنزلهم أماكن خاصة للقتال فهؤلاء في موضع الرماة وهؤلاء فى الميمنة وهؤلاء فى الميسرة وهكذا . والله سميع لكل قول ، عليم بكل نية وفعل ؛ فهو العليم بما دار حينما شاورت الناس وهل كان رأى بعضهم عن اخلاص أو نفاق أو لا ؟ .

واذكر اذ همت طائفتان من الانصار لما رأوا انخذال عبد الله بن أبى بن سلول حدثتهم أنفسهم بالفرار ولكن الله عصمهم من الذلة

ومنعهم من الجبن والفشـــل وكيف لا والله وليهم ومتولى أمورهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليعتمدوا عليه لا على حولهم وقوتهم

ولذلك ذكرهم بغزوة بدر حيث نصرهم الله على عدوهم لما كانوا متوكلين عليه ممتثلين لأمره وأمر رسوله ، فاتقوا الله بالثبات مع رسوله والصبر والوقوف عند أمره ، فان هذا عدة الشكر والشكر سبب النعم والنصر

والفكرة أن الرماة الحارسين لظهور المسلمين خالفوا أمر النبى فلمـــا رأوا الدائرة تدور على قريش وقد سقط لواؤهم أخـذوا يجمعون الغنائم والأسلاب وتنـازعوا فى ذلك ولم يبق منهم الا القليل فتنبه خالد بن الوليـد وكان يقود فرسان قريش فانقض بهم من وراء ظهورهم كالصاعقة

وفى هذه الآيات أشار القرآن الكريم الىقول النبىعليه الصلاة والسلام للمؤمنين وقد رأوا العدو يفوقهم قوة ويحســون بنقص عددهم بعد ان انخذل عنهم عبد الله بن أبى وأصحابه : ألن يكفيكم امداد الله لكم بثلاثة آلاف من الملائكة ؟

وقد وعد النبى المؤمنين أن الله سيمدهم بثلاثة آلاف بل بخمسة آلاف ان صبروا واتقوا ولكن لم يتحقق الشرط وخالفـــوا النبى ولم يصبروا على الغنائم وشدة الجهاد ونزال العدو . . ..

ومسألة أمداد الله المؤمنين بالملائكة فيها روايات كثيرة ، ويجوز أن يكون من قبيل الامداد بما يزيد العــدد أى امــداد مادى ، ويجوز ان يكون من قبيل الامداد المعنوى وهذاهو الظاهر ، فيكون عمل الملائكة بالجيش عملا روحيا كتثبيت القلوب وتسلية النفوس

واذاعة روح الطمأنينة فيقاتل الجيش عن عقيدة) (١٥)

وما النصر على الأعداء إلا من عند الله وحده بقطع النظر عن العــــدو وعدده وعدده مهما كانت فالله هو العزيز الذى لا يغالب ، الحــكيم فى كل شىء يفعله

وترانى وايم الله أميل إلى الرأى القائل بالإمداد المادى فلقد شهدت فى فلسطين أياماً كأنما كانت الملائــكة هى التى تحارب وكان النصر من عند الله وحده

ooOoo

ديمقراطية الشورى فى الاسلام :

وكان طابع الشورى فى الاسلام على ما يقول العلامة محمد على فى كتابه بالانجليزية : « القرآن المقدس » طابع الحكومة البرلمانية ومن ثم فانه من الغريب أن يجىء وقت تزعم فيه أوربا المسيحية ان هذا النظام من أنظمة الحكم لا يصلح للمسلمين

ويقول العلامة عبد الله بن يوسف على فى كتابه بالانجليزية : « نظام الحكم فى الاسلام » ان النظــام الحديث للحكومة البرلمانية محاولة غير كاملة ولا دقيقة لتطبيق مبدأ الشورى فى شئون الدولة الحديثة .

---

(١٥) التفسير الواضح ـ ج ٤ ص ٢٣ ـ ٢٤

وتعاليم الديمقراطية الاسلامية ، التعـاليم التى جاءت بمجلس الشورى « دار الندوة » والتى اتبعها الخلفاء المسلمون بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام لاتزال بارزة متبعة فى كل البـلاد الاسلامية ، حتى فى حكم المغول بالهند عرفت الدولة الاسـلامية « الديوان العام » الذى تنفـذ كل قراراته بوساطـة « الديوان الخاص » أى بوساطة المجلس الامبراطورى ، ونجد هذا حتى فى حكم أكبر وشبـاه جيهـان وجهانجير وغيرهم من الاباطرة الكبار الذين دانت لهم البلاد فى رقعة فسيحة

وقد انتقلت تعاليم الاسلام وحكمة آسية الى اوروبا المظلمة فى القرون الوسطى عن طريق الأندلس الاسلامية ، وكانت البـلاد الاسلامية تعرف الحكومة الديمقراطية التى تقوم على الشـورى عندما كان الناس فى أوروبا يحرقون العلماء حينا بدعوى الهرطقة وحينـا آخـر بدعوى اسـتخدام السحر ، ولم تقم فى أوروبا ديمقراطية صحيحة بالرغم مما تفهمته الى حد بعيد من تعاليم الاسلام ، وهذه الديمقراطيةالبرلمانية للدستور غير المسطور والتى يفخر بها البريطانيون يقول عنها جورج برنارد شو الفيلسـوف الارلندى (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) : انها نظام حكم اقطاعى من تراث القرون الوسطى مع رأسمالية برجوازية ، أو هى بمعنى آخر أشبه بجوادين من جياد القرون الوسطى يوضعان فى مقدمة سيارة من سيارات النقل الحديثة ليسيرا بها بدلا من اسـتخدام الوقود السائل الذى يتمشى مع مظاهر العصر الحديث

وكتب هانز كوهن أيضا فى « تاريخ القومية للشرق »

« وأوروبا اليوم تتأرجح فى فوضى تامة من ناحية عامة ويبرز الانحلال المعنوى فى الحياة الخاصة للأفراد ، ولكن الاسلام يحمل

الى اوروبا بل الى العالم كله بزور الاشتراكية الصحيحة ؛ ان الاسلام هو الاشتراكية الصحيحة التى لاتعرف تقديرا خاصا لجاه أو مال أو لون »

وهنا نرجع ثانية الى ماجاء فى الصفحات الأولى منقولا عن كتاب هانز كوهن فى « تاريخ القومية » :

« .... وعقيدة محمد هى وحدها التى تستطيع أن تمنع انتشار المذهب العقلى ، ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يستطيع البقاء مع هذه الشكوك التى تنتشر اليوم ؛ ان المبادىء الاساسية للاسلام لطليقة تماما من الخرافات والأوهام ويمكن مذهب التوحيد من الالتجاء مباشرة الى المنطق ، وأى مجتمع تطرق اليه الاسلام حمل اليه الطهر والفضيلة وكل المعنويات التى تمكنه من متابعة التقدم والتطور ، ان هذا المجتمع ليصلح كنموذج لأوروبا الحديثة ، أوروبا التى تريد أن تتخلص من مفاسدها ، مفاسد الخمر والميسر ، المفاسد التى قتلت معنويات الناس ولم تبق لهم الا ماديات حولت حياتهم الى الشر ... ؛ والاسلام يدعو الى المساواة والى العدالة والى الأخوة بين كل الشعوب ، (يتحدث عن التسمح ويدعو الى عدم العنف) . والاسلام يجمع كل ماتستهدفه الاشتراكية الصحيحة ؛ الاشتراكية التى لا تعرف الكبرياء ولا المباهاة بسبب المال أو اللون ؛ ان استرخاء وضعف أوروبا وافتقارها الى الشجاعة تمنعها من أن تتحول عن طريقها الذى سارت فيه طويلا لتتجه نحو طريق الحق »

وليس بعد حديث هانزكوهن من متسع لأى حديث عن ديمقراطية الاسلام وتسمحه ودعوته الى السلم والسلام وعدم العنف

الى هنا أقف فى الحديث عن « الاسلام والسلام » من ناحية ايضاح « أهيمسا » — « مبدأ عدم العنف » فى تعاليم القرآن على ما صوره مولانا محمد طيب الله فى كتابه بالانجليزية الذى اصدرته دار كتابستان فى الله آباد بالهند ، فهو غاية ما استطعت ولعلى أكون قد وفقت فى عرض اراء مولانا طيب الله مترجمة الى العربية ، وأن أكون بما قد أضفت لحديثه قد وضحت ما كان حقا يتطلب مزيدا من الايضاح ، وليس لى هنا الا أن أختتم هذا الكتاب بما اختتم به القرآن الكريم سورة « البقرة » :

« لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »

صدق الله العظيم

تم بعونه تعالى يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الاخرى سنة ١٣٨٠ للهجرة الموافق الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٦٠

ملحق الكتاب

المسلمون في الهند

قلت ان المؤلف مولانا محمد طيب الله قد عرض فى الفصل السادس من كتاب للمسلمين فى الهند ، « الاسلام وهند ستان » ، وقدم لهذا الفصل من الكتاب بسطور نقلها عن الاوردية لمولانا (ابو الكلام آزاد) وزير المعارف السابق فى حكومة الهند المركزية جاء فيها :

« ان حياتنا المشتركة طوال ألف السنة الماضية قد كونت قومية مشتركة جاءت فى ظروف طبيعية ونحن اليوم أمة واحدة متحدة هى الأمة الهندية » .

وقد كتب المؤلف هذا الفصل من كتابه وهو فى المعتقل سنة ١٩٤٤ ، ولكن دور المسلمين فى الهند لم يكن موضع دراسات عميقة أصيلة حتى تم تقسيم شبه القارة الهندية فى سنة ١٩٤٧ .

ولقد كتب الاستاذ الكبير همايون كبير وزير البحوث العلمية والنقافة فى حكومة الهند المركزية بحثا قيما بعنوان (المسلمون فى الهند » فى مجلة « ثقافة الهند » التى يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ .

والواقع أن المسلمين يشكلون دعامة من أهم دعائم الاقتصاد القومى فى الهند ، وكانت المجموعات الاسلامية التى نزلت بالهند فى موجات متتالية أشبه بالغدير المتدفق يشق طريقه وتتشعب روافده ولكنه لا يتوقف عن الجريان ولا ينعطف عن مجراه ، وبالرغم من اندماج المسلمين فى الحياة الهندية فقد بقيت لهم شخصيتهم ، وكانت لهم نغمة خاصة تتضح وسط نغمات سيمفونية الحياة الهندية المتعددة اللغات .

وعرف المسلمون عندما نزلوا فىالهند وعندما امتزجوا بالشعوب والسلالات الهنـــديه ، عرفوا الفلسفة الهنــديه ، هذه الفلسفة التى تؤكد دائما وأبدا كمــال الحياة ، وربطت بهذا الكمال عاملى السـماحه والصبر على المكاره ، وكان هذان العاملان من تعاليم الاسلام التى تنفذ الى القلوب ، ومن ثم تأثر المسلمون بهـــذه الحركة الفكريه التى تواترت من الهند القديمة ، وبدأت حركة قوية للتقـــارب بين الاســـلام والهندوسية ، وكانت هـــذه المحاولات قوية من جانب المســلمين والهندوس على الســـواء ، وكما برزت فى هذه المحاولات أســماء (كيتانيـــا) و (نانك) و (رانانانندا) من جانب الهندوس اشتهرت أيضا اسماء (كبير) و (جشتى) و (داراشكوه) من جانب المسلمين ، وكان على رأس القائمة الامبراطور « أكبر » نفسه .

على أننا يجب أن نذكر أنه قد حدث تصادم مبدئى بين الثقافة الاسلامية والتقاليد الاسلامية وبين ثقافة الهند وتقاليدها المتوارثة منــذ القـــدم ، وأعقب هـــذا التصادم ـ كما هو من الضرورى ان يحدث ـ مزج واتحاد مما كان له تأثيره العميق فى أسلوب حياة الناس : حدث تبـــدل فى لباسهم وطعامهم ولغتهم وآدابهم ، حدث تبدل فى رسمهم وموسيقاهم وفلسفتهم ، وهندستهم فى البناء .

ولما كان الغزاة المسلمون قد سكنوا البلاد فقد اندمجوا تدريجيا فى اقتصادياتها .

على أن الذى عاون على امتزاج الهندوسية والاسلام وجعـــل هذا الامتزاج أمرا لابد من وقوعه هذه الـكتل الضخمة من جمهرة السكان التى دخلت فى حفيرة الايمان الجديد ، اذ دخل النـــاس فى دين الله أفواجا ، ومع انه لاشـــك فى ان الكثيرين ممن كانوا

يشعرون بالضغط للنظام القائم في البلاد من التمييز بين الاجناس والسلالات قد دخلوا حظيرة الدين الجديد الذى يدعو الى مجتمع متماسك متجانس يعتبر الناس فيه سواسية كأسنان المشط ، فان الذى لا شك فيه أيضا أن الكثيرين من رجال العلم والفضل استهوتهم بساطة وسماحة هذا الدين الجديد « الاسلام » وجذبهم اليه الشعور بالعدل وعزة النفس ·

على أن أهم نتائج اقامة الحكم الاسلامى فى الهند ، اعادة تأسيس الامن الداخلى فى أنحاء شمالى الهند كافة فى ظل حكومة موحدة متساوية النسق ، وساعدت الادارة الموحدة التى بدأت أولا فى سلطنة دلهى ثم تلتها فى امبراطورية المغول فى تحقيق وحدة النظرة الهندية ، وعزز هذا بتوحيد العادات الاجتماعية ، وسواء فى الشمال أو الجنوب كانت للمسلمين وحدة فى الازياء والطعام والعادات والمعتقدات الامر الذى استرعى انتباه جيرانهم من غير المسلمين ، وكانت النتيجة نمو توحيد العادات الاجتماعية فى جميع أنحاء البلاد بعامة وفى المناطق الحضرية بخاصة ·

وتبدو نتائج الحياة التعاونية بين المسلمين والهندوس واضحة فى ميادين الفنون والآداب ، اذ أمكن تحقيق الفن الهندى ـ العربى ، بابراز طابع مركب من الغريزة الهندية والاحساس العربى : فجاء الاحساس القومى (بالشكل) وجاءت الغريزة الهندية (بالزخرفة) ، وبرز هذا المركب الفنى فى العمارة والرسم والتصوير والنسج وغير هذا حتى فى تصفيف الحدائق الرائعة التى أنشأها المغول ·

بل انه ليبدو التطور الارتباطي في التطابق القوي بين

(الصوفية) الاسلامية وبين « الويستاوية » الهندوسية ، فكل تضع تأكيدا عظيما على اعادة اكتشاف الانسان ، وكلتاهما تبحث لكي تمكن الانسان من ادراك شخصيته خارج الحدود التي يفرضها العرف .

ثم جاء الانجليز في اعقاب من سبقهم من الاوروبيين الذين نزلوا في الهند ، وعمل الانجليز كل مافي استطاعتهم لكبح المفكرين والمتعلمين من المسلمين وتقويض نفوذهم في كل مناحي الحياة ، بل وأعادوا كتابة تاريخ الهند بطريقة تؤدي الى التدليل على جور حكم المسلمين وأن الانجليز أنقذوا شعب الهند من هذا الجور

وعمدت الحكومة الانجليزية الى الاقصاء التدريجي للمسلمين من الوظائف كافة ، وتجريدهم من كل ميزة وصاغت القوانين التي تمكنها من نزع ملكيات ممتلكات المسلمين بل وعمدت الى اتلاف وتقويض الاسس الاقتصادية لما بقي للمسلمين من ممتلكات حتى تلك التي كانت تتبع المعاهد التعليمية الاسلامية .

فعل الانجليز هذا بسبب الكفاح العظيم الذي قام ضد الحكم الانجليزي سنة ١٨٥٧ وكان للمسلمين فيه نصيب كبير .

ولكن الانجليز أوجدوا طبقة متوسطة هندية جديدة من الهندوس في الغالب كانت هي التي اقضت مضاجع الانجليز لانه عندما اختفى خطر المسلمين انبعث محله تهديد جديد من جهة لم تكن متوقعة قط .

على أن الذي يعنينا أنه منذ انشاء حزب « المؤتمر » سنة ١٨٨٥ في الهند قام الزعماء المسلمون بدور له خطره : فقد رأس السيد

بدر الدين طيابجى الاجتماع السنوى الثالث الذى عقد بمدراس سنة ١٨٨٧ ، كما رأس السيد محمد رحمه الله سایاتی الدورة الثانية عشرة بكلكتا سنة ١٨٩٦ راس نواب سيد محمد بهادور الدورة التاسعة والعشرين بكراتشى سنة ١٩١٣ ، كما تولى السيد حسن امام رياسة الدورة الخاصة فى بومباى سنة ١٩٢١ م ورأس مولانا أبو الكلام آزاد الاجتماع الخاص الذى عقد بدلهى سنة ١٩٢٣ ، وتولى مولانا محمد على رياسة الدورة التاسعة والثلاثين بكوكونادة سنة ١٩٢٣ ، وتولى رياسة دورة مدراس الثالثة والاربعين الدكتور أنصارى ، ثم تولى مولانا أبو الكلام آزاد رياسة الدورة الثالثة والخمسين التى عقدت فى رام جار سنة ١٩٤٠ .

وكان هذا أقوى دليل على الدور العظيم الذى قام به الزعماء المسلمون فى تشكيل الهند الجديدة .

وقد قال البانديت جواهر لال نهرو فى خطابه غداة تقسيم شبه القارة الهندية : « بغض النظر عن الاديان التى قد تنتمى اليها ، فجميعنا أبناء الهند الذين نقف منها على قدم المساواة ، لا نستطيع تشجيع الطائفية أو ضيق الأفق ، لانه لن يتسنم شعب ذرى المجد والعظمة أبدا اذا اتصف بضيق الافق فى التفكير أو العمل » .

ولهذا فليس بمستغرب أن يبقى فى الهند بعد التقسيم ٤٣ مليون مسلم ، وأن يكون فى الهند ثالثة كتلة اسلامية فى العالم بعد اندونيسيا وباكستان .

وتنتشر المعاهد العلمية الاسـلامية فى جميع الولايات وتتلقى هـذه المعاهد معـاونات مالية من الحكومة ، وتحتمـل الحكومة المركزية جانبا كبيرا من ميزانية جامعة عليكره الاسـلامية التى تتسع لنحو خمسة آلاف الطالب يدرسـون فيها العلوم والفنـون ففيها كليات للهندسة والطب والزراعة والعلوم والآداب وكليـة للبنات ، وقد تلقى معظم الزعماء المسلمين فى الهنـد والباكستان علومهم في هذه الجامعة ، وقد انشأ السير سيد احمد خان هـذه الجامعة الاسلامية سنة ١٨٧٥ ورفعت الى مرتبة الجـامعة سـنة ١٩٢٢ ، وفى جامعة عليكرة اربعون الف مجلد فى الموضـوعات العامة و١٧ ألف مجلد فى الموضوعات الشرقيـة منها أربعة آلاف مخطوط .

وفى حـيدر أباد (الجامعة العثمانيـة) التى أنشئت سـنة ١٩١٨ ، وتدرس فى هذه الجـامعة اللغة الاوردية بدلا من اللغة الانجليزية ، واللغـة الاوردية هى التى كتب بهـا أغلب الادب الاسلامى فى الهند ، واعتمدت حكومة الهند منحة سنوية لجمعية ترقيـة اللغة الاوردية التى تهدف الى النهوض بهذه اللغة وتعمـل للكشف عن مكنوناتها الادبية الرائعة

ويدرس فى جامعة حيدر أباد الاسـلامية التفسير والشريعة الاسلامية وأصـول الفقة وعلم الكلام والفلسفة والادب والكثير من العلوم الاخرى

ويقصدها الطلاب من عدة دول فى شرقى افريقيـة وجنوب شرقى آسية ، والجامعة العثمانية على مثـال الجـامعة الازهرية بالقاهرة تعلم الطلاب وتقدم لهم الكتب والمسكن والمأوى بلا مقابل

على ان الظاهرة البارزة فى الهند هى احتفال الناس جميعا باعياد المحرم وعيد الفطر وعيد الاضحى المبارك ، وتعطل أعمال الحكومات المحلية والحكومة المركزية فى هذه الاعياد على أساس أنها اعياد لافراد الشعب كله لا للمسلمين وحدهم فحسب .

وكل هذا على أساس الأخوة البشرية التى جاء بها الاسلام وكانت من بين تعاليمه .

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد
القاهرة

الثمن ١٠ قروش

مؤسسة طباعة الألوان المتحدة